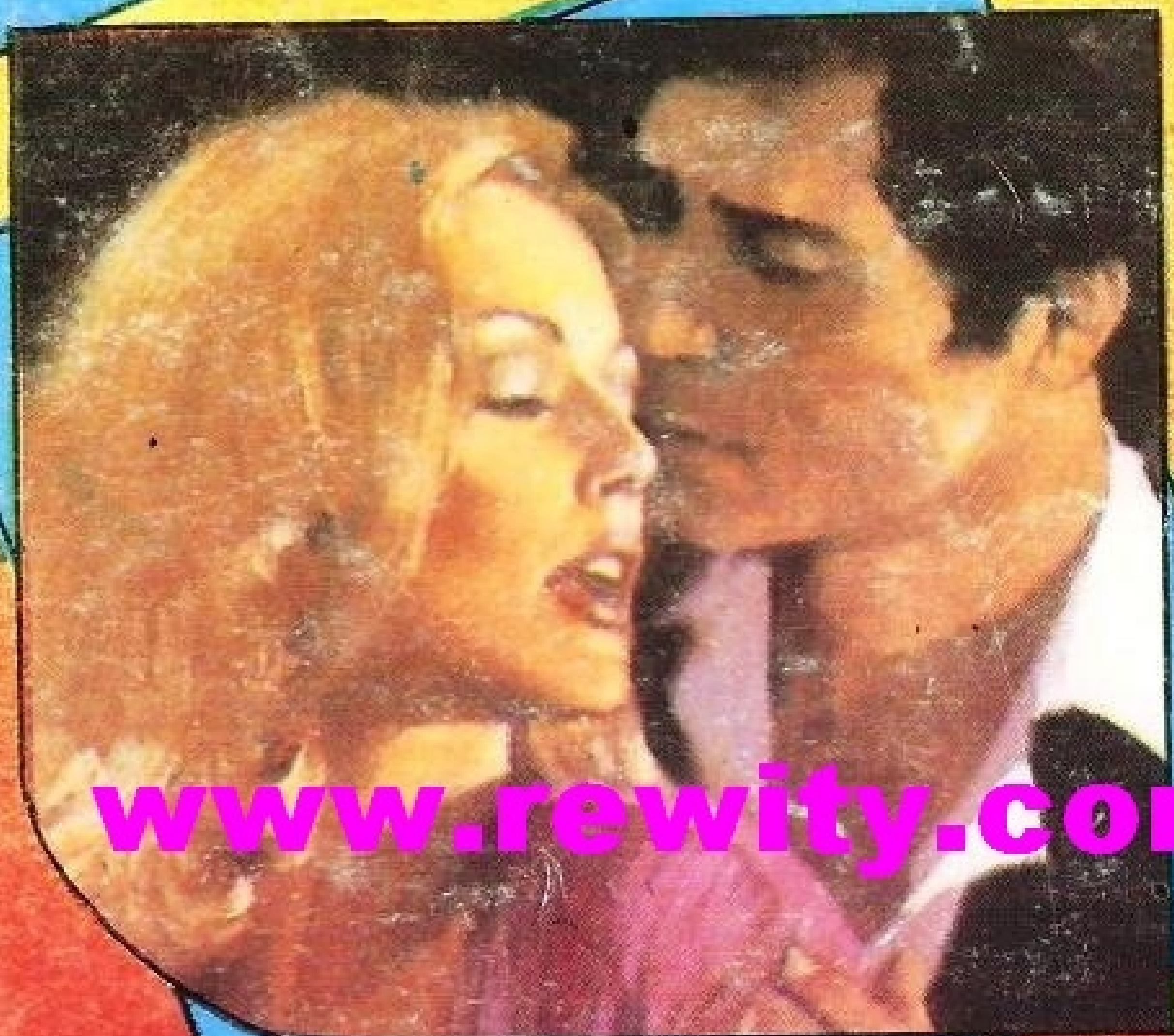
ديانا
DIANA

الطّاغيَة



دار اليوسف

الطاغية

ساره كزافن

كخالة لليتيم الصغير نيكي، هارييت أحبته واهتمت به معظم حياته، كأنها كانت والدته. لكن أليكس ماركوس الغني والقوي كان عم الطفل، وهو شعر أنه يستطيع أن يقدم إلى نيكي حياة أفضل بكثير مما تستطيع هارييت. يائسة خوفاً من أن يتمكن أليكس من أخذ نيكي بعيداً عنها، وجدت هارييت نفسها مرغمة على الموافقة على أي حال بالذهاب إلى منزل عائلة أليكس في كورفو، لتدع الطفل الصغير يلتقي بقية أقاربه. لكن هل تستطيع أن توافق بأن تدع نيكي يذهب. . . عندما تزوج أليكس من مارينا إكساندرو المكروهة؟

الفصل الأول

«ما تقوله هو أنه ليس هناك من شيء أستطيع القيام به. . . إنني لا أستطيع أن أربح». بجهد فوق قدرة البشر حافظت هارييت على صوتها ثابتاً.

الرجل الجالس قبالتها على المكتب العريض المصقول أعطى هزة كتف خفيفة، «أنت مخطئة إذا اعتبرت هذه كمعركة، يا آنسة ماسترز. لكن إذا كنت تصرين على القيام بذلك، عندئذ يجب أن أخبرك أنك ستجدينها واحدة يستحيل كسبها. إن موكلي على استعداد لحمل مطلبه لحضانة ابن شقيقه إلى أية محكمة سواء في هذا البلد أو دولياً. إنها

كون عملية باهظة التكاليف، لكنها واحدة يستطيع تحملها. بينما ... » هو نظر إلى بعض الأوراق أمامه. . . «أنت، كما فهمت، رتيرة».

«لا شيء يهم»، قالت هارييت بتحدٍ. «أنا طابعة، أنا أجني راتباً ولاً، لكنني لا أستطيع أن أحارب ملايين ماركوس. . . أنا أعترف لك. لكن مطالبتي بنيكي هي على أساس أخلاقي». أخذت نفساً عميقاً.

«لقد كانت شقيقتي هي القريبة الوحيدة الحية. عندما هي وكوستا وجا. . . عندما أنجبا نيكي، هما سمحا لي بأن أصبح جزءاً من عائلتهما. أنا. . . أنا حتى لدي غرفة في منزلهما، وأنا في الواقع اعتنيت بنيكي عندما. . . عندما. . .» توقفت، وناضلت لكي تتمالك رباطة جأشها.

«أنا أشعر بذلك، يا آنسة»، نظر السيد فيليبدس إليها مع أثر من الشفقة. «لقد كانت مأساة عظيمة، وصدمة محزنة لك، لكن بكل تأكيد أنت تتمنين الأفضل للطفل».

ردت هارييت إليه نظرته ببرود. «من الطبيعي، لكنني أعتقد أننا نختلف حول كيفية تفسير ما هو الأفضل له».

زم السيد فيليبدس شفتيه. «تعالي، يا آنسة». كان هناك أثر تبرم في صوته. «في رعاية عمه، هو ستكون لديه كل منفعة ممكنة».

«أنا سأجد ذلك أسهل للتصديق لو أن نفس ذلك العم أخذ الاهتمام الأقل فيه عندما ولد، وخلال الفترة قبل أن كوستا وبيكا. . . قتلا»، أجابت هارييت، وكانت سعيدة لترى أن السيد فيليبدس بدا منزعجاً،

طريقة منفصلة، استطاعت أن تشعر بالأسف له. هو لديه وظيفة بائسة لا يقوم بها، وواحدة ربما كانت قليلة لمذاقه. لكن من جهة أخرى فكرت بسخرية، أليكس ماركوس كان يدفع له جيداً بدون شك لكي يقنعها بتسليم نيكي الصغير إليه بدون كفاح.

عندما وصلت إلى الجناح المهيب من المكاتب الذي يضم فرع لندن لمؤسسة ماركوس، كانت بصراحة خائفة في حال كان عليها أن تواجه أليكس ماركوس شخصياً. هي لم تقابله، لكن كوستا بصورة طبيعية تحدث عنه كثيراً، ورغم أن هارييت اعترفت أن وجهة نظره كانت ملونة بحقيقة أنه كان هناك حباً قليلاً مفقوداً بين الأخوين، وليس هناك من شك بأنه بدا شخصاً قهاراً.

وجدت السيد فيليبدس مع شعره الرمادي وشخصيته المستديرة راحة واضحة، رغم أنها لم تقلل من قيمته. أي شخص يوظفه أليكس ماركوس ستكون لديه مهارات مهنية عالية، ويتوقع منه أن يكسب أية مواجهات هو يتعهدها لمصلحته.

لكن ليس هذه المرة، فكرت هارييت، أظافرها تحفر بألم في راحتي يديها. ليس هذه المرة، أنا لا أستطيع أن أدع نيكي يذهب. هو كل ما لدي.

استرقت نظرة سريعة إلى نفسها في المرآة الضخمة التي تهيمن على جدار واحد للمكتب، وهي كانت سعيدة لترى أنه بعيداً عن بقعة الحسن من اللون في كل خد، بدت نسبياً هادئة. كانت شاكرة أن السيد فيليبدس لم يستطع أن يعرف كم هي كانت على وشك الانهيار من التوتر الكامل عندما حملها المصعد بسرعة صعوداً إلى السطح.

كون عملية باهظة التكاليف، لكنها واحدة يستطيع تحملها. بينما
ي. . .» هو نظر إلى بعض الأوراق أمامه. . . «أنت، كما فهمت،
رتيرة».

«لا شيء يهم»، قالت هاربيت بتحدٍ. «أنا طابعة، أنا أجني راتباً
قولاً، لكنني لا أستطيع أن أحارب ملايين ماركوس. . . أنا أعترف
لك. لكن مطالبتي بنيكي هي على أساس أخلاقي». أخذت نفساً
عميقاً.

«لقد كانت شقيقتي هي القريبة الوحيدة الحية. عندما هي وكوستا
وجا. . . عندما أنجبا نيكي، هما سمحا لي بأن أصبح جزءاً من
عائلتهما. أنا. . . أنا حتى لدي غرفة في منزلهما، وأنا في الواقع
اعتنيت بنيكي عندما. . . عندما. . .» توقفت، وناضلت لكي تتمالك
رباطة جأشها.

«أنا أشعر بذلك، يا آنسة»، نظر السيد فيليبدس إليها مع أثر من
الشفقة. «لقد كانت مأساة عظيمة، وصدمة محزنة لك، لكن بكل
تأكيد أنت تتمنين الأفضل للطفل».

ردت هاربيت إليه نظرته ببرود. «من الطبيعي، لكنني أعتقد أننا
نختلف حول كيفية تفسير ما هو الأفضل له».

زم السيد فيليبدس شفتيه. «تعالي، يا آنسة». كان هناك أثر تبرم في
صوته. «في رعاية عمه، هو ستكون لديه كل منفعة ممكنة».

«أنا سأجد ذلك أسهل للتصديق لو أن نفس ذلك العم أخذ الاهتمام
الأقل فيه عندما ولد، وخلال الفترة قبل أن كوستا وبيكا. . . قتلا»،
أجابت هاربيت، وكانت سعيدة لترى أن السيد فيليبدس بدا منزعجاً،

بطريقة متعصبة، استطاعت أن تشعر بالأسف له. هو لديه وظيفة بائسة للقيام بها، وواحدة ربما كانت قليلة لمذاقه. لكن من جهة أخرى فكرت بسخرية، أليكس ماركوس كان يدفع له جيداً بدون شك لكي يجعلها تسليم نيكي الصغير إليه بدون كفاح.

عندما وصلت إلى الجناح المهيب من المكاتب الذي يضم فرع إدارة المؤسسة ماركوس، كانت بصراحة خائفة في حال كان عليها أن تواجه أليكس ماركوس شخصياً. هي لم تقابله، لكن كوستا بصورة طبيعية تحدث عنه كثيراً، ورغم أن هاربيت اعترفت أن وجهة نظره كانت منحازة بحقيقة أنه كان هناك حباً قليلاً مفقوداً بين الأخوين، ليس هناك من شك بأنه بدا شخصاً قهاراً.

وجدت السيد فيليبدس مع شعره الرمادي وشخصيته المستديرة راحة واضحة، رغم أنها لم تقلل من قيمته. أي شخص يوظفه أليكس ماركوس سيكون لديه مهارات مهنية عالية، ويتوقع منه أن يكسب أية مواجهات هو يتعهدها لمصلحته.

لكن ليس هذه المرة، فكرت هاربيت، أظافرها تحفر بألم في راحتي يديها. ليس هذه المرة، أنا لا أستطيع أن أدع نيكي يذهب. هو كل ما لدي.

استرقت نظرة سريعة إلى نفسها في المرآة الضخمة التى تهيمن على جدار واحد للمكتب، وهي كانت سعيدة لترى أنه بعيداً عن بقعة الحمرة من اللون في كل خد، بدت نسبياً هادئة. كانت شاكرة أن السيد فيليبدس لم يستطع أن يعرف كم هي كانت على وشك الانهيار من التوتر الكامل عندما حملها المصعد بسرعة صعوداً إلى السطح.

المطالبة المتغطرسة لأليكس ماركوس بنيكي جاءت كصدمة كاملة

هو وكوستا كانا على حدود باردة لعدة سنوات، والعلاقات بينهما نت قد قطعت تماماً عندما تزوج كوستا من بيكا ضد رغبة العائلة، تلك اللحظة فصاعداً لم يكن هناك اتصال، سواء برسالة أو هاتف، كوستا أعلن بوحشية أنه لن يعود ثانية إلى اليونان. تستطيع هاربيت قط أن تكون سعيدة كم مأساوياً تحققت نبوءته. هو وبيكا قتلا في حال وهما في طريقهما إلى البيت من منزل صديق عندما سيارة قودها سكير اندفعت بسرعة إلى عربتهما عند أحد تقاطع طرقات.

من تلك اللحظة، أصبحت الحياة كابوساً لهاربيت، لكنها كافحت نجاح مع التحقيق والجنازة لأنه لم يكن هناك شخص آخر ليقوم بذلك. ولا من شخص آخر ليعتني بنيكي. الشركة التي تعمل لها سمحت لها بإجازة عدة أسابيع مدفوعة الأجر بينما قامت بما استطاعت من ترتيبات. المنزل يجب أن يباع. لقد كان مرهوناً، ولا تستطيع تحمل الدفعات. لقد كان كثيراً قدر ما استطاعت أن تفعل إيجار غرفة كبيرة بسريرين وجدتها. لقد كانت غرفة كثيرة الهواء، لكن عليها أن تشارك بالمطبخ والحمام، وعندما يكبر نيكي سيكون عليها ن تجد شيئاً ما أكبر.

لكنها كانت مستعدة لذلك. مستعدة لكل الاحتمالات والتضحيات لتي ستكون ضرورية، لأنها أحبت نيكي.

حصلت له على مكان مع دار حضانة مسجلة، فتاة أكبر منها فقط بعدة سنوات مع توأمين بسن نيكي، ومنزل غير مرتب بشكل مفرح

وحديقة. كانت ماندا لين شخصية صارمة وهاربيت تعودت عليها لحب. وما كان أكثر أهمية، وهكذا لنيكي، الذي رغم أنه كان صغ جداً ليفهم تماماً التغيير السريع في ظروفه، كان مع ذلك منزعجاً به يميل للالتصاق.

الحياة لم تكن سهلة، والمال كان صعباً، لكنها كانت تكا نجح. وعندئذ جاءت الرسالة من محامي أليكس ماركوس، يعلم أنه يطالب بحضانة طفل شقيقه، ويعرض عليها دفع تعويض.

ذهلت بوحشية الرسالة وعدم حساسيتها، ودفعت برفض عنيف شروطه مع عودة البريد.

الاتصال التالي أرسل بشروط أكثر مساومة قليلاً، لكن بدون تغيير في المطلب الأساسي. كان على نيكي أن يغادر إنكلترا ويتخذ مسك في اليونان تحت مسؤولية عمه وهي، هاربيت، كان عليها أن تتخلى عن كل مطالبة به، جوابها على هذا لم يظهر تخفيفاً من عزمها الحاسم. كان هناك فترة توقف طويلة، وبدأت تأمل، بحماقة، أن أليكس ماركوس فكر أن من الأفضل الانهماك فيما يسميه الوسيط «عاطف الحب» على الطفل الذي كان غريباً تماماً له.

هو ليس بحاجة إلى نيكي، أقنعت نفسها. هو لديه أشياء أخرى كثيرة... الثروة، الأملاك، ومصالح العمل التي تأخذه إلى كل أنحاء العالم. وإذا كانت أعمدة القيل والقال لتصدق، فالمزيد من صحبة الإناث أكثر مما كان شريفاً.

«نحن ولدنا بطريقة خاطئة»، قال كوستا ذات مرة بكآبة. «أليكس رجل متوحش، جوال، وثني حقيقي. ذلك هو دور الشقيق الصغير؟

بما أنا. . . أنا الرجل المدجن، الخامل جداً».

هو ضحك ونظر إلى بيكا، وشيء ما في عيونهما وابتساماتهما الحميمة جلب غصة إلى حلق هاريت. لم يكن هناك شيء خامل حول حياتهما معاً، فكرت.

منقادة بأفكارها، قالت عالياً: «الحكم بما يقرأه المرء في الصحف، أنا سأقول أن أليكس ماركوس هو آخر رجل في العالم يريد أن يسرج نفسه مع طفل صغير. ألا يشنج ذلك أسلوبه المعتاد؟».

السيد فيليبدس فغر فاه تقريباً إليها، ورأت برضا تلك الغشاوة الخفيفة من العرق التي انفجرت على جبهته.

هو قال قمحياً، «ذلك قلما يكون موضوعاً للمناقشة، لقد نسيت، أيتها الآنسة، أن الطفل نيكوس هو وريثه».

ابتسمت هاريت، «وهو تسي أن نيكي هو وريثي أيضاً».

«بو، بو، بو،» أومأ السيد فيليبدس بضجر. «دعينا نتكلم بجدية يا آنسة ماسترز، وبطريقة عملية أيضاً، ماذا يمكنك أن تأملي بإعطاء الطفل بالمقارنة لعائلة ماركوس؟».

«أنا أستطيع أن أعطيه الحب»، قالت هاريت بشجاعة. «نيكي ليس من وسائل الراحة، كما يظن السيد ماركوس، يحكم بعرض مهين يقدمه لي».

السيد فيليبدس تجنب نظرتها. «ذلك ربما كان. . . سوء طالع».

«ذلك يضعه بلطف للغاية»، قالت هاريت.

اتكأ السيد فيليبدس إلى الأمام، «يجب أن لا تغالطي نفسك، يا سيدتي العزيزة، بأن الطفل بحاجة إلى عناية، وكذلك عمه، وجدته

أيضاً متشوقان لاستلامه».

«من المؤسف أنهما لم يكونا متشوقين لاستقبال شقيقتي». نغ
هاريت حملت نغمة فولاذية.

استطاعت أن تتذكر تكدر كوستا للصمت الحقود الذي حيا زواجه
«المس وأليكس!» هو ثار. «طوال حياتي وأنا أتلقى أوامرهما. . .
وأطيعهما كواجب. لكن كل ذلك أصبح منسياً الآن. في عيونهما أ
تغلبت على القانون. . . ولا أحد منهما سيصفح أو ينسى».

عضلات قلب هاريت انقبضت عند التفكير بنيكي الصغير ينمو في مثل هذا الجو.

تنهد السيد فيليبدس. «إنه قلما يكون متوقعاً بأنهما سيرحبان بمثل هذا اتحاد»، هو قال، باذلاً جهداً واضحاً ليكون مسالماً. «أنت لا تفهمين تماماً، يا سيدتي العزيزة، أنه في بلدنا مثل هذه القضايا ما زال بالإمكان ترتيبها، العروس كان قد تم اختيارها للمرحوم السيد ماركوس. زواجه من شقيقتك سبب إهانة كبيرة. . . ارتباكاً عميقاً».

«إذن لماذا أليكس نفسه لم يتزوجها، إذا كان ذلك هاماً؟»، صرخت هاريت. «أما بالنسبة لكون نيكي وريثه، فهذا جدال سخيف. هو ملزم بأن يتزوج ويكون له أطفال ذات يوم. . . إذا استطاع أن يجد امرأة حمقاء كفاية لتربط نفسها إليه. . . وأين سيكون نيكي عندئذ؟» ضربت على المكتب بقبضة يدها. «هو لديه. . . كل شيء، يا سيد فيليبدس. . . وأنا لدي فقط نيكي. أنا لن أتخلى عنه، إذا كان السيد ماركوس يريده، فعليه أن يحارب من أجله!».

«أرجو أن لا تكون هذه هي كلمتك النهائية، يا آنسة ماسترز»،

ما وقفت هاريت على قدميها، وقف السيد فيليبدس أيضاً.

«لا»، قالت هاريت. «كلمتي النهائية هي... طاغية، كلمة أنانية، أنا أعتقد. في إنكلترا، نحن لا نؤمن بها».

سارت إلى الباب بدون نظرة إلى الوراء.

تظاهرها بالشجاعة تلاشى قليلاً عندما وصلت إلى الشارع. في الحقيقة كانت ترتجف كثيراً، وكان عليها أن تتوقف لعدة لحظات عند المدخل حتى استعادت سيطرتها الذاتية.

المقابلة في الواقع استغرقت أكثر مما توقعت، وكان لا يزال هناك ثلاثة أرباع الساعة تقريباً باقية من فرصة غدائها، رغم أن لديها القليل من الشهية.

لقد كان يوماً مشمساً جميلاً، وعدد من المطاعم التي تجاوزتها في طريق عودتها إلى المكتب كانت مزدحمة، والطاولات على الرصيف، مفكرة بأنها لا تستطيع القيام بعمل كامل لفترة بعد الظهر بمعدة خاوية، لا أهمية كم تمخضت تلك المعدة، جلست هاريت عند إحدى الطاولات الخارجية، وطلبت عصير البندورة وساندويش جبنة.

قد تكون وعدت أليكس ماركوس بمعركة، فكرت بوعي، لكن السيد فيليبدس كان على حق عندما قال بأنها لا تستطيع أن تربح. هو لديه كل شيء يسير له... المال، والسلطة، والموارد. كيف يمكنها أن تقنع أي شخص، دعوة المحكمة وحدها، أنها ستكون الحارسة الأكثر ملاءمة لطفل صغير؟.

تنهدت، وألقت بقايا قشرة إلى حمامة تسير مزهوة.

بالإضافة إلى ذلك، ألا يمكن المجادلة بمحاولة الإبقاء على نيكي،

كانت في الواقع أنانية؟ هي تريد لنيكي كل المنافع التي تستطيع أن توفرها عائلة ماركوس، لكنها لا تستطيع. هل هي لديها أي تبرير حقيقي لحرمانه منها؟

فكرت بذكاء كم ستكون الحياة موحشة بدون نيكي. فقط فوق سنتين ونصف، هو بدأ يتكلم بطلاقة، ويستمتع بقوافي وقصص الحضانة التي تقرأها له. التفكير بفقد تلك العلاقة القريبة والمحبة إلى الأبد... بهجره للأشخاص الذين كانوا غرباء، والذين حتى يتحدثون بلغة أجنبية... جعلتها تشعر بالبرودة إلى عظامها.

لو أن العلاقة بين كوستا وشقيقه كانت علاقة عادية، فالوضع يمكن أن يكون مختلفاً. فكرت بحزن. لكن عائلة ماركوس لن تعترف حتى بنيكي. والمشاعر لشقيقتها الصغرى لن يكون لها مغزى بتاتاً في حساباتهم. الحقيقة هي أنهم عرضوا عليها بسخرية مبلغاً من المال لإغرائها بالانفصال عن نيكي بدون ضجة أثبتت كم كان تقييمهم لها رخيصاً.

مسكين كوستا، فكرت، هو كان دائماً متحفظاً على الطبيعة الحقيقية للخصام الذي قاده إلى إنكلترا، بعيداً عن عائلته، لكنه لو كان ذلك ليهرب من زواج غير مرغوب فيه مع غريبة موازنة، عندئذ لكان ذلك مفهوماً.

عندما هو وبيكا التقيا، فقد كان ذلك عدة أشهر قبل أن يخبرها بأنه ينتمي إلى عائلة ماركوس. في الحقيقة غرامهما أوشك على الانتهاء عندما اكتشفت بيكا الحقيقة، لأنها شعرت بأنها كانت تقريباً مغمورة

كانت فتاة لطيفة، وأسلوب الحياة المتفجر للرجل الذي سيكون سلفها أخافها وطردها، لقد احتاج إلى كل الإقناع والتطمينات أن كوستا كان قادراً على إقناعها بأن شخصيته كانت مختلفة تماماً.

اشتبهت هارييت أن العداء الخفي لعائلة ماركوس للزواج قد جاء بمثابة إنقاذ إلى بيكا. كان كوستا يعمل محاسباً ويجني ما يكفي لتأمين احتياجاتهما، وكان ذلك هو كل ما تريده.

تنهدت هارييت. لو أن أليكس ماركوس فقط أو والدته شاهداهما معاً، فكرت بلهفة، لشاهدا كم يحب كل منهما الآخر، عندئذ يجب أن يلين قلباهما. لكن في نفس الوقت، صوت صغير بارد في أعماقها أخبرها أنها كانت عاطفية. رجل ناجح بلا رحمة مثل أليكس ماركوس سيعتبر أي تغيير مثل هذا للقلب كإشارة ضعف.

نهضت، ونفضت بعض فتات الخبز عن تنورتها الزرقاء ذات الطيات، وبدأت تسير على طول الشارع، غير مسرعة، تنظر إلى واجهات المحلات بعينين لا تريان.

لقد كان هناك خطر، واستطاعت أن تراه، بجعل نيكي المركز لعالمها، هي نادراً ما خرجت الآن في الأمسيات. لشيء واحد، فمربية الأطفال تكلف مالاً، لكن الأكثر أهمية يبدو من الخطأ عدم قضاء مزيد من الوقت قدر الإمكان مع نيكي في الوقت الوحيد الذي كان ممكناً... بعد العمل. لم تحسده على دقيقة واحدة من وقتها، أو شعرت بالحرمان، لكنها أحياناً عندما تسمع الفتيات الأخريات اللواتي تعمل معهن يتحدثن بنشاط حول الخروج وأصدقائهن، شعرت كأنها احتلت عالماً آخر.

في الحادية والعشرين، هي قلما كانت مشطوبة كعانس، الخالة العذراء البدائية، عرفت. هي لم تكن مغرورة، لكنها كانت مدركة أن شعرها الأشقر الباهت وعينيها الخضراوين الواسعتين لديهم جاذبية خاصة بهم، لكنها عرفت أيضاً أن وجود نيكي في حياتها كان عائقاً فيما يتعلق بالرجال. روي، على سبيل المثال.

توردت قليلاً عندما تذكرت أنها فعلاً أخذت بعين الاعتبار أن تصبح مخطوبة إلى روي. عندئذ وقع الحادث، وحياتها تغيرت بين عشية وضحاها، ونوعاً ما لم يعد روي موجوداً هناك. كانت مرتبكة، وأكثر من متألمة قليلاً، لأنها اعتمدت على دعمه. لكنه كان صريحاً بوحشية.

«أنا آسف، يا حبي»، هو قال. «لكنني لم أساوم على عائلة جاهزة. أنا لا أريد أن أشارك اهتمامك مع طفل هو حتى ليس من لحمي ودمي».

هارييت أخبرت نفسها أنها قد تخلصت منه بسلام، وعرفت أن ذلك كان صحيحاً، لكن الألم ما زال باقياً، وجعلت نفسها شحيحة في قبول مثل هذه الدعوات التي تأتي في طريقها.

كلوديا التي احتلت المكتب الملاصق في قاعة المكتب حاولت دائماً إجراء مواعيد لها، وتحثها على الخروج أكثر، مصرة على أنها مدينة بذلك لنفسها. لكن هارييت شعرت بأن نيكي هو الذي كان مديناً... مديناً كمحيط مستقر وآمن قدر ما تستطيع أن تبتكر له، على الأقل في الوقت الحاضر.

كانت كلوديا تنتظر عودتها بشوق. «ماذا حدث؟» همست. هزت

هاريت كتفيها. «نحن تحدثنا. وأنا فقدت أعصابي».

كشرت كلوديا. «هذا مذهل»، قالت. «أنت الصورة لشقراء باردة، ومع ذلك مثل قبعة جليد فوق بركان. هل كان الرجل العظيم نفسه؟».

هزت هاريت رأسها، وكلوديا أطلقت صوت إحباط.

«اللعنة، هناك تذهب فرصتي الأخيرة لاكتشاف شكل الرجل المحب للجنس في الواقع! أنا توقعتك أن تعودي إلى هنا والنجوم في عينيك وبدون أزرار باقية على بلوزتك».

«أنت تمزحين، بالطبع». كانت هاريت مريرة.

«ليس في الواقع»، كشرت كلوديا. «بعد كل ذلك، هو يجب أن يكون لديه شيء ما. انظري إلى الطيور التي يجذبها!».

ابتسمت هاريت بسخرية عندما لفت الأوراق والكربون في آلة طباعتها.

«أوه، هو لديه شيء ما حسناً»، وافقت. «المال».

زمجرت كلوديا. «أراهن بأن لديه أكثر من ذلك. ألم تشاهدي صورة له؟».

هزت هاريت كتفيها. «الصورة الغريبة بالصحيفة. لكنهم لا يخبروك الكثير عدا عن أنه ليس لديه رأسان. من المؤسف أنه ليس لديه، في الواقع»، أضافت بتفكير، «عندئذ كل شخص سيعرف أي وحش شري هو».

«يا نسة ماسترز!» المشرفة على قاعة الطباعة ظهرت بجانب مكتب هاريت، وبدت قاسية. «الآنسة غريستوك قرعت الجرس. أنت مطلوبة إلى جناح الرئيس».

أصابع هاريت تجمدت على مفاتيح آلتها. كانت عاملة جيدة ذات الكفاءة، وأحياناً تأخذ إملاء لمدير الإدارة وسكرتير الشركة عندما سكرتيرتيهما تكونان غائبتين، لكن الرئيس كان حوض سمك آخر بالجملة، ولا وحدة من قاعة الطباعة تملأ مكان الآنسة غريستوك البعيدة وذات الكفاءة. وعلى أي حال، إذا كانت الآنسة غريستوك التي قرعت الجرس، فمن المعقول أنها كانت هناك، وليست بحاجة إلى بديلة.

«عندما تكونين مستعدة تماماً، يا آنسة ماسترز»، ذكرتها المشرفة بسخرية.

جناح الرئيس والمدراء التنفيذيون الآخرون كان طابقاً واحداً فوق، وهاريت صعدت السلم، محاولة أن تدس خصلات من الشعر إلى الوراء في لفة ناعمة ترتديها على قمة رأسها. بحق السماء لأجل ماذا يريد السير ميشيل؟ تعجبت في هلع. في السنتين اللتين كانت بهما في الشركة، حتى لم تتحدث إليه. عندما كوستا وبيكا قتلا، لقد كان سكرتير الشركة السيد كرين هو الذي تعامل معها، وهو كان اللطف نفسه. لكن ربما السير ميشيل لا يعتقد أنها كانت تستحق الوقت والمال اللذين منحا لها. لكن إذا كان هكذا، هل يحتمل أنه استدعاها ليحضرها هكذا بنفسه؟

كانت حائرة تماماً في الوقت الذي وصلت فيه إلى مكتب الآنسة غريستوك. كانت الآنسة غريستوك تتطلع إلى ساعتها بافتخار عندما قرعت الباب بأدب ودخلت.

«أخيراً»، قالت ببرود. «ادخلي مباشرة».

«نعم»، ترددت هاريت. «هل. . . هل تعلمين بأية مناسبة هذه؟».

يد ماركوس، أنا واثقة أنها ستصفح عنك».

ابتسامة خفيفة لمست زاويتي فمه. «الآن ما الذي جعلك تعتقدين ن موعدي كان مع امرأة؟ يتوجب عليك أن لا تصدقي كل ما تقرأينه ني الصحف».

«أنا لا أصدقها»، هي أنكرت بمزيد من السرعة أكثر من الكرامة، «أقرأ الصحف، أنا أعني... أو على الأقل القراءة عنك فيها».

«أنت تدهشينني، بالحكم على بعض ملاحظاتك إلى فيليبيدس، أنا تخيلت أنك قمت بدراسة مدى الحياة لطريقة حياتي عبر أعمدتها».

مضيقاً عينيه، هو رفع كأسه، دارساً بسحر واضح الفقاقيع التي ترتفع إلى حافته.

«مسترقي السمع»، قالت هاريت بإغراء، وأخذت ساندويشاً آخر من السلمون المدخن، «نادراً ما أسمع أي خبر عن أنفسهم. كيف عرفت رقم هاتفي على أي حال؟».

هو تنهد. «أنا وضعت ملاحظة عنه عندما كنت أغادر بالأمس... في حال حدوث طارىء كهذا».

«حسناً، أنا قلما تخيلت أنه سيكون لأي سبب آخر»، هي سخرت.

«تناولي مزيداً من الشراب». هو أعاد ملء كأسها. «ربما هو سيجعل تصرفك أكثر حلاوة».

«أنا لا أعتقد ذلك»، هي قالت. «نيكي يفقد أعصابه من جانبي العائلة».

«أنت تخيفينني. طبع آل ماركوس يفترض أيضاً أن يكون قهاراً».

«مسكين نيكي. هو قد لا يبتسم ثانية»، قالت هاريت ببشاشة.

«ذلك هو ما كنت أخشاه»، هو تمتم. «هل سينام الآن حتى الصباح، حسب اعتقادك؟».

«أعتقد ذلك». هي نظرت حولها بحثاً عن حقيبتها. «أنا... أنا في الواقع يجب أن أذهب».

«أنا لا أعتقد»، قال أليكس. «بحسب رأيي إنه سيكون أفضل بكثير لو تكونين هنا عندما يستيقظ».

هاريت لم تقابل نظرته. «أنت تعني... أنك تريدني أن أعود قبل أي شيء في الصباح».

«أنا لا أعني شيئاً من ذلك النوع»، هو قال بغيظ. «أنا اقترح بأن تقضي الليلة هنا».

استمرت هاريت بالتحديق إلى السجادة. «أنا في الواقع، أفكر أنه سيكون من الأفضل لو ذهبت إلى البيت».

«وأنا لا أستطيع تكوين سبب واحد معقول لماذا يتوجب عليك أن تفعلي هكذا». العينان السوداوان ومضتا بخبث. «لماذا عنيدة هكذا، يا عزيزتي هاريت؟ هل أنت خائفة أن السرير الذي أقدمه لك هو سريري؟».

قررت أنها تناولت ما يكفي من الشراب ووضعت الكأس.

قالت: «لا، أنا لست خائفة، لكنني أعترف بأن ملاحظات كتلك هي ليست مطمئنة تماماً».

التوى فمه. «هل ذلك هو ما تريدينه... التطمين؟».

قالت بإعياء، «أنا لا أريد أي شيء منك، يا سيد ماركوس. أنا جئت إلى هنا الليلة لأن نيكي يحتاجني، وليس لأغوص معك في أية

بدت الآنسة غريستوك كأنها على وشك أن تذبل، ثم فجأة لانت. ربما لأنها لأول مرة لاحظت هلع هاريت.

«ليست عندي أدنى فكرة. لقد كانت هناك رسالة تنتظر عندما عدت من الغداء»، ابتسمت. «لكن لا تكوني هكذا قلقة. هو ليس عصا قديمة سيئة، أنت تعلمين»، أضافت، مخفضة صوتها.

ردت هاريت الابتسامة بعصبية. سارت إلى باب المكتب الداخلي، رافعة كتفيها بتصميم، وضغطت على المسكة ودخلت.

بعكس مكتب الآنسة غريستوك، الذي كان مضاء اصطناعياً، غرفة الرئيس لها نوافذ على طول جدار واحد، والوهج المفاجيء لأشعة الشمس بهر هاريت عندما وقفت مترددة، تماماً داخل الباب.

للحظة، كل ما شعرت به كان تمثال رجل واقف عند إحدى النوافذ، وعندئذ هو استدار وتقدم نحوها، وأدركت في هلع غريب أنه كائناً من كان، فإنه لم يكن السير ميشيل.

لشيء واحد، هذا الرجل كان أصغر منه بعشرين سنة على الأقل، أسود الشعر مع وجه أسمر جذاب بخشونة. هو كان طويلاً جداً، وطقمه باهظ الثمن ومناسباً لكتفيه العريضين ووركيه وساقيه الطويلين.

أخذت هاريت نفساً. «أنا آسفة... هناك غلطة ما»، بدأت، متراجعة باتجاه الباب.

هو رفع يداً سلطوية سريعة، وأوقفها.

«أوه، لا تهربي، يا آنسة ماسترز». كان صوته خشناً كوجهه، مع تنغيم أجنبي خافت. «أنت كنت شجاعة كفاية مع المحامي منذ فترة ليست طويلة. ماذا تجرؤين على قوله في وجهي، أنا أعجب؟».

«أوه يا إلهي»، فكرت هاريت في غم. إنه لا يمكن أن يكون صحيحاً. إنه لا يمكن أن يكون هو.

محصورة أن تبدو باردة، قالت، «ألا يفترض بي أن أعرف من تكون؟».

«نحن سنوزع الألعاب، إذا شئت»، هو قال. «نحن كلانا ندرك هوية كل منا».

ابتلعت هاريت بريقها. «كيف... كيف عرفت أين أعمل؟».

«أنا أعرف كل شيء أحتاج معرفته عنك»، هو قال باختصار. «ربما في حين أنك لست الشخص المناسب لتولي مسؤولية طفل شقيقي».

شهقت هاريت. «أنت لا يحق لك أن تقول ذلك!».

«لي كل الحق»، هو قال. «كل كلمة قلتها إلى فيليبدس كشفت عن عدم بلوغك سن الرشد، أنت حمقاء عنيدة المراس. أنت دمرت أية حالة قد تكون لديك للاحتفاظ بنيكوس برعايتك بلسانك السخيف».

«السيد فيليبدس لم يضع الوقت في تقديم تقرير كامل»، قالت بغضب. «هل هو استعمل شريط تسجيل؟».

«لا، يا آنسة ماسترز، أنا رأيتك وسمعتك بنفسي». هو توقف. «المرأة في تلك الغرفة لها وظيفة أخرى عدا عن السماح للفتيات الصغيرات بتسوية أنفسهن فيها».

امرأة مزدوجة. لقد سمعت هاريت فقط عن مثل تلك الأشياء. قالت. «ذلك هو أكثر شيء خسيس أنا سمعت عنه!».

«لكن عندئذ كانت تجربتك محدودة».

«لا عجب لأن شقيقك كان سعيداً ليهرب منك»، قالت بلا رحمة، وتوقفت، مذعورة لملامح الغضب المصهور على وجهه.

قالت في صوت لم يكن يبدو بأنه يشبه صوتها. «أنا... أنا لا أعني ذلك».

«أنا يجب أن لا آمل». كان وجهه عابساً.

قامت هاربيت بحركة عاجزة صغيرة بيديها. «أنا لا أعتقد أنك تفهم كم كنت منزعجة... حول نيكي. هو كل ما لدي في العالم».

«في الوقت الحاضر، ربما»، هو وافق. «بعيداً عن حقيقة أن لديك لساناً كالسليطة، ولن تجدي صعوبة لجذب زوج، خاصة مع المال الذي عرضته عليك كمهر».

برودة هاربيت التي استحوذت عليها حديثاً تصاعدت في دخان. «أنا لن ألمس فلساً من مالك الدموي!».

«لغتك لم تتغير»، هو قال ببرود. «إذا كنت تعتقدين في أنك سترغمينني في تقديم عرض أكبر بعنادك، عندئذ إنس الموضوع. أنت لا تستحقين ما تقترحين، لكنني أود تسوية المسألة بسرعة. جدة الطفل تريد أن تراه».

«جدة الطفل كانت لديها كل فرصة لرؤيته عبر السنتين الماضيتين».

صوت هاربيت ارتعش.

«هل كان ذلك هو ما اعتمدت عليه شقيقتك؟» هو سأل. «أن ولادة طفلها ستعطيها مدخلاً إلى عائلتنا؟ كم مخططة كانت! دعيني أنصحك كيلا تقعي في نفس الخلطة، يا آنسة ماسترز، باللعب الخوازيق التي خلفك. أنت فقط ستخسرين».

تقدمت خطوتين سريعتين إلى الأمام، ويدها ارتفعت، وصفعته بقسوة على وجهه.

كان الصوت أشبه بطلقة انطلقت خارج الغرفة الهادئة، وقد تبعها صمت رهيب. وقفت هاربيت في هلع، وراقبت علامات أصابعها على خده. كانت تقريباً في لهب قاتل في عينيها، وطوقت نفسها لنوع من الانتقام. تهتز ربما، أو لتصفع بدورها، لكن لم يحدث شيء.

قالت: «إذا كنت تنتظرني لكي أعتذر، عندئذ سوف تنتظر إلى الأبد! يمكنك أن تقدم تقريراً عني إلى السير ميشيل... أنا لن أتحدث. أنا أعتقد أنك صديق له وإلا لما كان قد سمح لك باستعمال عرضه. لكن مهما فعلت، فأنا لست مستعدة لسماع أشياء كتلك عن بيتك. أنت... أنت لا تعرفها، وتلك كانت خسارتك، لكنها لم تكن مهتمة في عائلتك للدوافع المرتزقة التي تفكر بها. ليس هناك شيء حول الطريقة التي تعيشها يمكن أن تجذبها. أرادت كوستا ونيكي وهما كانا كافيين. لكنها رأت أن... النفور بينكما قد آلم كوستا، لذا تألمت أيضاً. هذا هو كل شيء».

«قصة مثيرة جداً». هو قال بسخرية. «يبدو أن كوستا قد اختار درة نادرة لزوجته، لسوء الحظ معرفتي به وحكمه يجعلان ذلك مشكوكاً فيه. مع ذلك، أنا أدين لك لتصديق ما تقولين، ولأن لديك محبة شقيقتك. لكن دعينا لا ننسى أن القضية الحقيقية هي نيكوس».

«نيكي ليس... قضية! هو طفل، كائن بشري صغير. هو ابن شقيقتي مثلما هو ابن شقيقك، ومهما تعتقد فأنا قادرة تماماً على ذلك، وهذا هو ما أنوي القيام به»، أضافت بقليل من الاندفاع.

عندما فتشت عن مسكة الباب كانت خائفة أنه قد يأتي خلفها ويمنعها من المغادرة، لكنه لم يتحرك، وأخيراً فتحت الباب وانطلقت منه إلى الغرفة الخارجية تحت نظرة الآنسة غريستوك المذعورة.

عندما وصلت الرواق كانت تبكي، وأخذت طريقها رأساً إلى غرفة المعاطف على الطابق الأرضي. لحسن الحظ لم تكن مشغولة، وغرقت على مقعد على الجدار وأطلقت العنان لانفعالاتها. كانت مريضة وترتجف عندما توقفت الدموع أخيراً، والوجه الذي حدق إليها من المرآة بدا شاحباً ومخرباً. غسلت عينيها بالماء البارد، وفتحت الحنفية فوق معصميها في محاولة لتثبيت نبضها المتسارع. عندئذ اختطفت سترتها من تعليقتها وألقتها على كتفيها.

أفكارها لم تكن متماسكة بصورة خاصة، لكن الضرورة لإخراج نيكي من لندن كانت مهيمنة. ليست لديها فكرة أين تذهب، أو كيف تجد مكاناً للاختباء الذي لن تكشفه أموال أليكس ماركوس، لكن السرعة كانت جوهرية.

لديها القليل من المال في محفظتها، والمزيد في الشقة، وبعض التوفيرات في مبنى الجمعية. إذا ذهبت إلى إحدى المحطات الكبيرة في ساعة الازدحام، فكرت بحرارة، فمن غير المحتمل أن يتذكر أي شخص فتاة مع طفل صغير، ستسافر إلى أبعد ما تستطيع، وتدعي أن نيكي هو ابنها... وأنها كانت أماً غير متزوجة. تستطيع أن تموه نفسها، فكرت بشراسة، تصبغ شعرها، أو تشتري باروكة. إذا استطاعت أن تختفي لفترة طويلة، فبكل تأكيد سيشعر أليكس ماركوس بالتعب من البحث عنهما ويعود إلى اليونان.

عضت على شفتها. ليست هناك من طريقة تجعل ذلك مقنعاً لنفسها. أنا قلت بأنني سأحاربه، لذا أكون ملعونة إذا استسلمت بدون كفاح، فكرت.

شعرت بالذنب حول مغادرة الشركة بدون كلمة تفسير، أو تقديم اعتذارها لكنها لم يكن لديها بديل. لم تفكر أن أي شخص شاهدها تغادر المبنى، لكنها ظلت تتطلع خلفها عندما انتظرت الباص بأنق.

ماندا بدت مستغربة عندما فتحت الباب. «لقد جئت باكراً»، تنحنحت. «أنا فقط وضعته لتوي ليأخذ غفوة».

«نعم»، اغتصبت هاريت ابتسامة. «أنا آسفة، يا ماندا، لكنني يجب أن آخذه معي، وهو لن يحضر غداً... أو حتى إشعار آخر. في الحقيقة أنا لست أدري إذا... أو متى...».

أعطتها ماندا نظرة فاحصة، «الغلاية غلت لتوها»، قالت. «اذهبي واصنعي لنفسك كوباً من الشاي بينما أوقظ نيكي وأضع عليه معطفه. على رأسه الخاص أيضاً»، أضافت عندما انتقلت هاريت طائعة باتجاه المطبخ. «هو كالجحيم إذا استيقظ قبل أن يكون مستعداً».

زمجر نيكي عندما ظهر بين ذراعي ماندا، لكنه كان ناعساً جداً ليكون جحيماً حقيقياً. مد ذراعيه إلى هاريت، التي أخذته، ابتسامتها الترحيبية تأرجحت عندما شعرت بجسمه الصغير الدافيء يلتف بثقة في حضنها.

«لا تضغطي عليه لدرجة الموت»، نصحتها ماندا، وهي تعيد ملء كوبها الخاص. «ما الأمر؟ هل العم الشرير ظهر وبدأ يضع الضغط؟».

أطرقت هاريت برأسها، وماندا تنهدت. «حسناً، أعتقد أن ذلك

كان لا مفر منه»، وضعت يداً وداعبت شعر نيكي الكثيف. «وداعاً، يا حبيبي. ساحتنا اليوم... هي ملعب مليونير غداً، الأمر ليس سيئاً».

«هو لن يأخذه!» كان صوت هارييت عنيفاً.

«أنا معجبة بروحك المعنوية، لكنني لا أعتقد بأنك واقعية».

بدت ماندا واقعية. «اليونانيون هم أبويون جداً، أنت تعلمين، ونيكي لديه دم ماركوس في عروقه. وفقط افترضي أنك أقنعت عمه بأن يدعك تحتفظين به... فهل تعتقدين أن نيكي سيكون دائماً ممتناً؟ ما لم يكن هو فوق طاقة البشر، فهو قد يبدأ حساب الأشياء التي افتقدها».

«هذا... مريع»، قالت هارييت ببطء.

«نعم، أليس كذلك؟» وافقت ماندا. «لكن كونه يتيماً لا يتداول القداسة آلياً كذلك، أنت تعلمين».

«إذن أنت تعتقدين أنني يجب فقط... أن أتخلى عنه؟» كانت هارييت مندهشة.

«لا»، عبست ماندا. «بالطبع لا. لكن بكل تأكيد أنت يجب أن تكوني قادرة على القيام بنوع ما من صفقة مع الرجل ماركوس... يوافق أن نيكي يجب أن يقضي فترة محددة من الوقت معك كل سنة».

أخذت هارييت تئن. «بعد الذي حدث اليوم، أنا لا أعتقد بأنه سيوافق حتى على إرسال نيكي لي بطاقة عيد ميلاد!» أعطت ماندا حساباً بكل ما حدث اليوم، ونواياها، وماندا بدت مذعورة.

«بالله عليك، يا هارييت، لا تقومي بأي شيء متسرع. إذا أمسكت نيكي وبدأت تطوفين به في كل أنحاء البلاد، فإنك ستحطين أليكس

ماركوس بندقية لكي يطلق النار عليك. هو قد يكون خنزيراً متغطرساً، لكنك لن تغلبيه بتمثيل دور امرأة مجنونة، أنت ستهربين وستكونين فقط تلعبين بين يديه».

«مع أي جانب أنت؟» مزحت هارييت بضعف.

«جانب نيكي». أعطتها ماندا ابتسامة لطيفة. «خذيه إلى البيت إذا أردت. لكن قومي بتفكير شاق جيد حالما تصلين إلى هناك. إذا لم تفعلي قد تنتهين بخسارة كاملة، وذلك سيكون سيئاً لكليكما».

كانت أفكار هارييت واجمة عندما سارت على طول، تدفع عربة الطفل. نيكي نام سريعاً، رموشه السوداء شكلت أنصاف أقمار على حب الوردين. نظرت إليه بحنان. الفكرة لفقده كانت بصراحة لا تطاق. لكن كلمات ماندا أصابت موطناً.

في البداية، عندما انعطفت إلى طريقها، قلما شعرت بالسيارة، وعندما هي لاحظتها، كان ذلك بنوع من فضول منفصل. كان هناك العديد من السيارات في الطريق، خاصة عند نهاية الأسبوع، كل النماذج الشعبية وغالباً التسجيلات الكبيرة، لكن هذه كانت مختلفة جداً.

رولز - رويس، فكرت بدون تصديق، وخطواتها بدأت تتباطأ بحكم الفطرة، وأصابع يديها اشتدت على مقبض العربة.

كان هناك سائق يرتدي زياً في المقعد الأمامي، وراكبه كان قد خرج، وألقى سيجاره الذي دخن نصفه عندما انتظرها.

قال أليكس ماركوس مع ابتسامة متلألئة، «أهلاً وسهلاً إلى البيت، آنسة ماسترز، إذن هذا هو نيكوس، أشكرك على إحضاره لي».

الفصل الثاني

وقفت هاريت تحدق إليه. شفتاها تحركتا بعجز، «لكنني... أنا لم أفعل...».

«أوه، أنا واثق تماماً أنك لم تفعلي»، هو قال بسخرية. «مع ذلك، الطفل هو هنا، وأنا هنا، وهذا هو ما أريده».

نظرت هاريت إلى نيكي النائم، وعرفت أن نظرة أليكس ماركوس قد لحقت نظرتها.

«هو ماركوسي جداً»، هو قال بعد توقف، صوته خالي من التعبير.

«هو لديه عيني شقيقتي»، اشتدت قبضة هاريت على قبضة العربة.

بلعت بريقها. «هل ستأخذه الآن... أم هل لدي وقت لأحزم أغراضه؟».

«أنت تتكلمين كأنني خططت لخطف الطفل». هو لم يزعج نفسه لإخفاء نغمة الغضب في صوته. «أنا لن أفعل، أعدك. مع ذلك، هذا قد يكون المكان لمناقشة المسألة، هل ندخل قبل أن تلفت انتباهاً غير مرغوب فيه؟».

ترددت هاريت، لكنها في الواقع كان لديها خيار ضئيل جداً، فكرت بغضب عندما بدأت تناور بالعربة فوق الممر المزروع إلى الباب الأمامي.

في القاعة، انحنت لتخليص نيكي، وأليكس ماركوس كان إلى جانبها.

«أعطني إياه». كان صوته سلطوياً، وهو أخذ نيكي منها، غير منتظر لأية إشارة موافقة من جانبها، وتركها تطوي العربة وتقود الطريق إلى السلم.

عندما فتحت بابها الخاص، كانت شاكرة لأن الغرفة كانت مرتبة ونظيفة. هي تكره المجيء إلى البيت عند نهاية يوم طويل لتجد أي نوع من الفوضى، وكانت سعيدة الآن لأنها قامت بالجهد المعتاد للتنظيف قبل أن تغادر في ذلك الصباح. كانت شاكرة أيضاً أن حصان الخشب الصغير حمل فقط نخبة من ثياب نيكي، ولا شيء غيرها.

«هو لم يستيقظ»، قال أليكس ماركوس من خلفها. «ماذا سأفعل معه؟».

أشارت هاريت إلى المهد في الزاوية، محمي عن بقية الغرفة

بواسطة ستارة صغيرة التي استعادتها لنفسها في ملصق من الصور البراقة قطعت من مجلات.

«هو سينام لفترة»، قالت مع بعض الجهد. «حتى يدرك موعد الشاي!».

راقبته يضع نيكي في المهد، حركاته بارعة ولطيفة. من غير المعتاد هكذا، فكرت، لأنه لا يستطيع أن يكون رجلاً اعتاد على الأطفال.

استقام، والتفت بدون أن يبتسم، والنظرة السوداء اللامعة ذهبت فوق الغرفة في تقييم صادق. شعرت هاريت برغبة سخيفة لكي تعتذر عن ذلك. السجادة المرعية جاءت من قاعة المزاد، وكذلك معظم الأثاث. الباقي التقط من محلات الخردوات وتم إصلاحه بذوق حيث تدعو الضرورة، وصقل، لكن عدداً من القطع كانت جميلة، ولا واحدة منها لها قيمة. وبالإضافة إلى ذلك، كان هناك شيء ما في وجود أليكس ماركوس الجسدي، أدركت بمشاكسة، الذي جعل المحيط يبدو ضيقاً جداً ورثاً أكثر مما كان في الواقع.

لا، هي ستكون ملعونة إذا اعتذرت عن ذلك لأنها كانت فقط غرفة وليست شقة، أو تبرر نفسها بأية طريقة. هذا كان بيتها، وهو يستطيع أن يصدر ما شاء من أحكام. في نفس الوقت، هي كانت مضيفته، مهما كانت مكرهة.

قالت ببطء: «هل أستطيع أن أقدم لك بعض المرطبات؟» دافع ما جعلها تتابع، «أنا لدي بعض الشراب من عيد الميلاد، أو بعض القهوة السريعة الذوبان، أو بعض أكياس الشاي».

أمال رأسه بسخرية. «أنت كريمة جداً. ربما... القهوة».

كانت تأمل في أن يبقى حيث كان، لكنه لحق بها إلى المطبخ المشترك للطابق الأول. استطاعت فقط أن تتخيل ماذا يعتقد ذلك أيضاً، من طباخ الغاز القديم إلى الثلاجة الضخمة المقشورة. فتحت خزانة المطبخ حيث احتفظت بالمؤن والأواني وأخرجت القهوة وكوبين من خزف، بينما كانت الغلاية تغلي.

كان أليكس ماركوس يسترخي في المدخل، على راحته، لكن بدون أن يفقد شيئاً، فكرت هاريت.

قالت: «لا جدوى من الانتظار هنا. الغلاية تستغرق وقتاً طويلاً».

«أنا أتخيل ذلك.»، قال، مبتسماً بخفوت.

«إنها مختلفة جداً عن تلك التي تعودت على استعمالها»، قالت بصلابة. «كان يجب أن تقيم في الوست إند، حيث تنتمي».

حاجباه ارتفعا. «أنت لم تزوري اليونان، هذا واضح، يا آنسة ماسترز، وإلا لعرفت أنه بالنسبة للعديد من الأشخاص مثل هذا المطبخ سيكون في غاية الرفاهية».

«لكنك لست بينهم».

«هذا صحيح. لكن ثروتي الخاصة لا تقودني للشعور بالاحتقار للطريقة التي يقود فيها الآخرون حياتهم».

تلك لم تكن الصورة التي رسمها كوستا، فكرت هاريت، عندما عادا إلى الشقة. تكلم بشعور من كبرياء وغطرسة لا يستسلمان، من عجز كامل لإعطاء منح لضعف أو مشاعر الآخرين، أو ليصفح... مع سبب معقول، أخذاً في الاعتبار الطريقة التي عومل بها بواسطة عائلته. ليس زواجه، ولا ولادة نيكي، فعلا أي شيء لدمل أي شرخ

بينهما. كانت هاربيت مدركة أن عائلة ماركوس قد أعلمت عندما قتل كوستا، لكنها بصراحة لم تتوقع أن تسمع منهم ثانية. بالتأكيد لم تكن هناك أزهار، ولا رسائل تعزية عند الجنازة. كان هناك صمت لأشهر... وعندئذ انفجرت قنبلة حول نيكي.

نيكي ما زال لم يتحرك عندما عادا، وهاربيت تنقلت بهدوء وأخذت ثيابه التي هوتها من على حصان الثياب وطوتها، قبل أن تضعها في صندوق صغير من الجوارير. فتحت النافذة قليلاً، وسمحت لأشعة شمس بعد الظهر بالدخول إلى الغرفة، جنباً إلى جنب مع الضجيج البعيد لحركة السير، وانبض فوق الرأس لطائرة نفاثة عابرة.

كان هذا هو الوقت من النهار الذي تتطلع إليه عادة إلى... تناول الشاي مع نيكي، ثم وقت اللعب قبل أن تعده لحمامه وسريره. لكن إلى كم مرة؟ تعجبت بحسرة.

عندما استدارت مبتعدة عن النافذة، وجدت أليكس ماركوس يراقبها، ويجب أن يكون هناك شيء ما حول التهدل لكتفيه الذي خدعها، لأن صوته لان قليلاً عندما قال: «نحن لا تستطيع أن تدعي بأنك ترغبين قضاء بقية حياتك في هذه الطريقة... تعتنين بطفل شخص آخر. أنت شابة. يتوجب عليك أن تخططي لحياتك الخاصة... ولأطفال من صلبك».

«أنا في الواقع قانعة كما أنا»، قالت هاربيت بصلابة.

«ألا ترغبين في الزواج؟» التوى فمه قليلاً في تسلية شيطانية. «من الصعب تصديق ذلك. هل تخافين من الرجال؟».

شهقت هاربيت. «بالطبع لا! كيف تجرؤ على الإيعاز...» صوتها

اللحظ بعجز.

هز كتفيه. «بأي شيء آخر يفكر المرء؟ أنت يجب أن تكوني واعية بأنه لا تنقصك... الجاذبية».

عيناه جالتا فوقها في تقييم جنسي سريع جلب اللون مزمجراً إلى وجهها.

لم تكن تدري هل تزداد غضباً منه لتطلعه إليها هكذا، أو من نفسها لتورد بمثل هذه الغباوة. بعد كل ذلك، هي كانت بشكل معقول قد اعتادت على النظر إليها هكذا. أنت لا تستطيعين العمل في مكتب كبير وتتجنبين ذلك، وهاربيت افترضت أنه كان جزءاً من «الإزعاج الجنسي» الذي تشتكي منه العديدات من النساء هذه الأيام، لكن طالما أنه بقي ضمنياً، وعن بعد، هي لن تشعر بأنه جدير بالشكوى منه.

لكن عندئذ، فكرت بغضب، لن تكون هكذا بصراحة أو هكذا تعرى عقلياً بالكامل بواسطة أي رجل. هو لديه تأثير يتمل البشرة الذي يريدها على عقبيها ويجعلها تشعر بأنها سريعة العطب.

الصوت لصفير الغلاية أنقذها، وكان عليها أن ترغم نفسها للخروج من الغرفة، وتركض، مع أقل رباطة جأش. في المطبخ، قاتلت سيطرة كاملة، وضعت الكوبين على صينية وصبت الحليب في ابريق، والسكر في وعاء، بدلاً من تقديمها في وعائيهما الخاصين، كما كانت تميل.

لقد كان تأمله المثير للأعصاب والسريع الذي طغى عليها، قالت لنفسها عندما أضافت الماء المغلي إلى حبيبات القهوة، وليس فقط العنصر الشهواني الذي تدخل. كرهت معرفة كل تفصيل لبيئتها، وكل

سطيح لحياتها، والطريقة التي ترتدي بها، وتتحرك، وتتكلم وتنظر، ليكونوا باستمرار محكومين بواسطة غريب تماماً. إذا كان يبحث عن أخطاء، هو لن ينظر بعيداً، فكرت بمشاكسة.

عندما حملت الصينية إلى الغرفة، جاء وأخذها منها، ووضعها على طاولة صغيرة أمام أريكة الأستوديو. رفض كلاً من السكر والحليب، وهكذا كانت جهودها مضيعة للوقت عندما تناولها سادة.

بقي واقفاً، ينتظرها بوضوح لتجلس بجانبه على أريكة الأستوديو، التي كانت الشكل الوحيد المريح للجلوس في الغرفة. لديها كرسيين عاليين الظهر للطعام، وتمنت بأن تكون لديها أعصاب لتذهب وتحضر واحداً منهما لتأسيس نوع من الاستقلالية، لكن شيئاً ما حذرها بأنه لن يترجم عملها بتلك الطريقة، وبكل بساطة قد تعرض نفسها لمزيد من التعليقات الساخرة حول المخاوف الأنثوية. لكنها أجلست نفسها بعيداً عنه بقدر ما يسمح عرض الأريكة، ومتجاهلة الالتواء الساخر لشفتيه.

قال بنعومة: «دعينا نعود إلى موضوع نيكوس، من الواضح أن هذا الوضع الحالي لا يمكن أن يستمر. عندما يصبح أكبر وأكثر نشاطاً، فإن هذا المحيط سيصبح مستحيلاً».

قالت هارييت ببرود: «لقد أخذت ذلك بعين الاعتبار من قبل» وهلعت حوله، فكرت، لكنه يجب أن لا يعرف ذلك.

«وما هي الاستنتاجات التي توصلت إليها؟».

احتمت. «حسناً، بكل وضوح أنا سأحتاج إلى شقة أكبر... طابق أرضي، بفضل... مع حديقة، أو قلعة في إسبانيا»، أضافت بصمت وبهيستيرية.

شرب أليكس ماركوس بعض القهوة. «هل أنت لديك مكان ما في عقلك. ربما؟» بدا مهتماً بأدب، لكن هارييت لم تخدع.

قالت مع تنهيدة: «أنت تعلم أنه ليس لدي».

أطرق برأسه. «وحتى لو كان مثل هذا المأوى ليقدم نفسه، فالإيجاد سيكون بعيداً عن وسائلك... أليس كذلك؟».

«نعم». لعنة الله عليك، فكرت. لعنة الله عليك!.

كان هناك صمت. بدأت ترتعش داخلياً، وهي جرعت الراحة العرضية التي أعطتها إياها القهوة الساخنة.

قال أخيراً، «يا آنسة ماسترز... إذا هذه العملية التعيسة بيننا كانت لتصبح معركة قانونية... ماذا تتخيلين أن القاضي سيقول حول الظروف التي تحاولين بها تربية ابن شقيقي؟».

هارييت لم تلتق بنظرته. «أنا أعتقد... أنا آمل بأنه سيقول بأنني أبذل قصارى جهدي»، قالت بإعياء.

«أنا لا أشك في ذلك للحظة. لكن هل ذلك هو ما تريدينه حقاً... معركة في المحاكم... لكي تجعلي نيكوس الموضوع لثرثرة، وتأمل وقصص الصحف المكفهرة؟».

«أنا أعتقد بأنك تعودت على مثل هذه الأشياء».

«لكنني أنا لست موضوع النقاش»، قال بنعومة. «نحن نتحدث عن طفل عمره سنتان، الذي قد يكون يوماً ما مرتبكاً وممزقاً عاطفياً بمعاركنا السابقة».

أعطته نظرة مرتابة. «هذا ابتزاز!».

هز كتفيه. «أنا سأفضل بأن أصفه كإمكانية سارية المفعول. هو كبير

كفاية ليحس بالنزاع وينزعج به».

«ولذلك يتوجب علي أن أكون فقط مستعدة لتسليمه»، قالت هاريت بمرارة. «أنا لا أعتقد، يا سيد ماركوس. ألا يخطر ببالك أن نيكي قد يعجب يوماً ما لماذا سمحت له بالذهاب بهذه السهولة، ويكون متألماً بذلك؟ أنت لا تنكر بأنك تنوي أن تفصله عنا بصورة دائمة؟».

«لا»، قال. «ذلك كان دائماً هو قصدي».

«على الأقل نحن نفهم بعضنا»، قالت بصوت أجش. «أنا أرفض أن أدع نيكي يذهب تحت مثل هذه الظروف».

«ما الذي تأملين به؟» كان صوته فجأة قاسياً. «مكان تحت سقفي لنفسك؟ عرض مالي أكثر سخاء من العرض السابق؟ إذا كان الأمر هكذا فسوف يخيب أملك».

«أنا لا أريد شيئاً منك»، قالت هاريت بحماس. «الحقيقة هي أننا، حتى التقينا في عملك، وليس عملي».

أعطاها نظرة متعبة. «لماذا أنت هكذا عنيدة؟ أنت نفسك قلما تكونين أكثر من طفلة. أنت لا تستطيعين أن تتمني تحمل مثل هذا العبء بدون مساعدة لفترة هي ربما عشرون سنة».

موضوعة هكذا، فقد بدا ذلك مخيفاً، لكن هاريت كانت دائماً مواجهة للنتيجة الحتمية التي تستتبع مسؤولياتها لنيكي.

«أنا قد أسألك نفس الشيء»، واجهته. «كل هذه الفترة أنت لم تعرض أدنى اهتمام بنيكي. نحن كلانا نستطيع أن نجوع أو نكون بلا مأوى لكل ما تعرف مع ذلك الآن أنت تريده... لماذا؟».

«لأن من واجبي الاعتناء به»، قال. «كوستا كان سيتوقع ذلك، مهما كانت العلاقات بيننا. الطفل هو من دمي».

«ودمي».

«مع ذلك»، قال. «لو أن كوستا تمنى عليك أن تتولي المسؤولية عن الطفل، لكان ترك مستنداً.. وصية، حتى رسالة يقول فيها هكذا. مع ذلك هو لم يفعل... أليس كذلك؟».

أنهت هاريت قهوتها ووضعت الكوب. «لا، لا شيء هناك»، قالت بعد توقف. «هما كانا شابين... شابين جداً ليفكرا بالوصية لأي شيء من ذلك النوع».

التوى فم أليكس ماركوس. «عندما المرء تكون لديه مسؤوليات يا آنسة ماسترز، المرء لن يكون شاباً جداً، وذلك لن يكون سريعاً جداً لإعداد مؤونة للمستقبل. كوستا عرف، في الواقع، أنه إذا حدث الأسوأ، فأنا سأتولى مسؤولية نيكوس. هو كان دائماً سعيداً ليضع مسؤولياته على الرف».

كانت هاريت مدركة بانزعاج أن محاميها الخاص قد حزن لغياب الوصية، لكنها كانت مولعة جداً بصهرها المرحوم لكي تسمح بانتقاده.

«كان كوستا مشغولاً جداً ليقلق حول حدوث الأسوأ كونه كان سعيداً وجعل شقيقتي سعيدة. هو كان رجلاً محباً دافئاً، لذا ما الذي يهم إذا هو لم يكن أعظم رجل أعمال في العالم؟».

«لو أنه بقي مع مؤسسة ماركوس، عندئذ كان ذلك يهم كثيراً»، قال ماركوس ببرود. «لكننا نخطيء نحو المسائل التي لا تهمك. أنت ستقومين بعمل جيد لتعكسي، يا آنسة ماسترز. في هذه اللحظة، أنت

…قد يملك كل قلبك. أي... جديرة بالثناء. لكن مع المال الذي أعرضه عليك، يمكنك أن تشتري خزانة ثياب جديدة... تذهبين ربما في رحلة بحرية حول العالم... وتقابلين شخصاً ما يجعلك سعيدة طالما أنت شابة... وبدون أثقال».

«يا إلهي، أنت تهينني!» تمتمت هارييت من بين أسنانها.

الحاجبان السوداوان ارتفعا في دهشة مبالغ فيها. «لماذا؟ لأنني أعز لو أنه لديك مزيد من الوقت لنفسك، لكانت لديك صعوبة قليلة في جذب رجل؟ أنا أقدم لك إطراء».

«ليس بمقدار ما يهمني. للغرابة الكافية، أنا تماماً أحب حياتي... خزانة ثيابي الحالية. الزواج لن يكون كل شيء ونهاية كل شيء في حياتي».

ابتسم. «إذن أنا كنت على حق»، قال بتكاسل. «أنت تخافين من الرجال».

«هذا مضحك!».

«ما هو أكثر»، هو قال ببطء، وعيناه لم تغادرا وجهها، «أنت خائفة مني».

«هراء!» قالت هارييت مع اتهام قوي وكانت بعيدة عن الشعور.

اتسعت ابتسامته. عيناه سافرتا ببطء نزولاً، ثم تعودان بسرعة، إلى وجهها حيث بقع من اللون الثائر كانت تشتعل في كل خد.

قال بنعومة بالغة، «وكل هذا لأنني... أنظر. ماذا ستفعلين لو أني لمستك؟».

«لا شيء بتاتاً»، قالت هارييت بسرعة فائقة. «أنا لست خائفة، يا

سيد ماركوس، فقط لست مهتمة، أنا أتوقع في دائرتك الخاصة، أنت تجد أن النساء جريئات. ربما العديد من الرجال الأثرياء جداً يجدون نفس الشيء. لكنني لا أنتمي إلى دائرتك، وأنا لست منزعجة حول الوقت... وبصراحة، يا سيد ماركوس، أنت تتركني باردة».

توقفت. مدركة أن تنفسها كان منقبضاً، وأنه كان هناك توتر غريب في حنجرتها.

شاهدت التسلية تتلاشى من عينيه، ليحل محلها شيء ما أعمق وأكثر خطورة. شاهدت عضلة تهتز في خده، وتمنت يائسة لو أنها بقيت هادئة. لكن كان قد فات الأوان للتراجع أو حتى الاعتذار. كان قد وصل إليها، يداه غير لطيفتين عندما سحبتاها إلى جسمه الصلب.

قال شيئاً ما بهدوء بلغته الخاصة، ومن ثم أحنى رأسه، واضعاً فمه على فمها قدمة متناهية.

في البداية حاربت، وشفتاها تقلصتا ضد أي هجوم أعمق، لكن حتى عندئذ كانت مدركة للعوامل الأخرى التي لغمت بخبث مقاومتها العزيزة. يداها كانتا أسيرتين بعجز بين جسميهما، وراحتاها منبسطتان على جدار من صدره، مما عمق وعيها لعضلاته الدافئة. رائحة بشرته ركبت أنفها، مؤكدة بالمسك الخافت لبعض الكولونيا. إذا هي فتحت عينيها فإنه سيملأ رؤيتها، وهما ظهرا مغلفين في كوز من الصمت محصور فقط بأنفاسهما غير المستوية. هارييت كانت قد قبلت من قبل، لكنها لم تعرف من قبل هيمنة طاغية لكل إحساس فيها. في النهاية، عرفت دائماً أنها كانت مسيطرة.

مع ذلك الآن... شفتاها انفرجتا على تنهيدة صغيرة من الاستسلام

الذي لا علاقة له مع القهر المفاجيء»، لأنها كانت متشوقة مثلما كان هو، بنهم لمودة أعمق مما كان هو ينشد.

بلطف حررت يده بلوزتها من حزام خصرها وأصابعه الدافئة تحركت على ظهرها، مما جعلها تتقوس عليه في بهجة غير محكية.

للمرة الأولى في حياتها، عرفت هارييت الحاجة، وعرفت الألم البسيط والواضح للإنجاز. وعرفت كم كان سهلاً تحرير القبضة الأخيرة على سلامة العقل وتدع نفسها تنجرف إلى ما لا بد منه على هذا المد الدافىء من المتعة.

وعندئذ من الزاوية، خلف الستارة الواقية هي سمعت نداء همهمة صغير، «هارييت!؟».

لقد استيقظ نيكي، وهكذا كانت هي فجأة... فانتفضت خارج حلمها الخطير وعادت إلى الواقع.

أليكس ماركوس سمع الطفل أيضاً. هو لم يعد ممسكاً بها بإحكام، وهي كانت قادرة على الوقوف والانسحاب بعيداً عنه، ومشطت شعرها بأصابعها المرتعشة.

ساقاها كانتا ترتجفان، لكنها جعلت نفسها تقف، وبعصبية دست بلوزتها المجعدة ثانية إلى داخل خصر تنورتها. هي استرقت نظرة جانبية إليه، وعضت على شفتها.

هو كان يتكىء إلى الوراء يراقبها. ربطة عنقه كانت محلولة، والشعر الأسود كان منفوشاً. عيناه السوداوان كانتا لامعتين، ليس مع شهوة مذوبة، بل مع سخرية ساخرة لاذعة.

هو قال بنعومة: «لقد قلت شيئاً ما حول حصانتك، على ما

الغضب.

لون ساخن غمر وجهها، وهي رفعت يديها، وضغطتهما بعجز على خديها الملتهبين. عندئذ، عندما همهمة نيكي هددت بالتطور إلى بكاء. هي سارت عبر الغرفة ورفعته حول عنقها عندما حملته باتجاه وسط الغرفة. وقف أليكس ماركوس منتظراً، يداه على وركيه. رفع نيكي رأسه وحدق إليه.

قالت هارييت بلطف: «هذا هو عمك أليكس، يا نيكي، قل له هالو».

هو لم يكن جيداً مع الغرباء. وهو لا يطيع دائماً. ربما في قلبها السريع، تأملت هارييت أن تكون هذه واحدة من تلك المرات، وأنه سيصبح صامتاً وملتصقاً أو... الذي كان أكثر احتمالاً... يزمجر بغضب.

هو لم يقم بأي منهما. هو استدعى ابتسامة خجولة وقال، «هالو»، ثم أن يدفن وجهه في كتف هارييت.

تحدث أليكس إليه باليونانية، وهارييت شعرت بالجسم في ذراعيها يتجمد كأن الكلمات الناعمة ومضت اتحاداً، وذكرى مراوغة هو كان يحاول إعادة أسرها. في الواقع صوت صغير قال بارتياب، «بابا؟».

شعرت هارييت بالدموع توخز عينيها.

«هل كان عليك أن تفعل ذلك؟»، هي سألت.

«إنه نصف يوناني»، قال أليكس ببساطة. «إنه يتوجب عليه أن يتذكر ويتعلم التحدث بلغة أبيه».

«أنت سمعت ما قاله. هو يعتقد أنك والده»، تكلمت هارييت

بعنف.

«فيما يتعلق به، فذلك هو ما سأكون. التفسيرات يمكنها أن تنتظر حتى يكبر كفاية ليفهم».

«والتتابع للأمهات البديلات في حياته؟ كم سيكون عمره قبل أن تفسرها له؟».

هو قال بنعومة: «احفظي لسانك، يا نحلتي الإنكليزية الصغيرة، وإلا فقد تسببين شيئاً تندمين عليه. نعم أنا استمتع بصحبة النساء، في السرير وخارجه. لماذا يتوجب علي أن أنكر ذلك؟ ربما أنت نسيت أنه لو لم يستيقظ نيكوس أنا كنت قد أقنعتك على مشاركتي تلك... المتعة».

شفتا هاريت انفرجتا في إنكار عنيف... وأغلقتا ثانية في صمت.

ابتسم أليكس بخفوت. «حكيمة جداً»، هو وافق. «أرجو أن تتصرفي بنفس الحكمة خلال بقية معاملاتنا معاً».

هاريت حدقت إلى الأرض. هي قالت: «أنا سأفضل التعامل مع السيد فيليبيدس».

«أنا واثق أنك ستفعلين»، قال بسخرية. «الآن، أنا أود التعرف على ابن أخي، ويفضل بدون ذراعيك الواقيتين حوله، هل سيكون ملائماً له تمضية نهاية الأسبوع معي؟».

هي نظرت إليه. «هل لديك منزل في لندن؟».

«أنا لدي جناح في فندق».

«وأنت سوف تعتني به؟» هزت هاريت رأسها. «هو... هو ما زال يرتدي حفاضات معظم الوقت...».

«لقد أحضرت ممرضة معي من اليونان»، هو قال بتبرم. «هي سوف تتعامل مع مثل هذه المسائل، وليس أنا».

«لقد فهمت». وهي رأت أيضاً. هي رأت سلطته، واليقين والخطورة التي تعطيهما تلك السلطة، وهي كرهت ذلك. هكذا واثقاً من النصر النهائي لدرجة أنه حتى أحضر مربية، هي فكرت. «وإذا رفضت؟».

هو رفع حاجبيه. «هل أنت واثقة بأنك تستطيعين؟ أنت قد تقاومين طلبي للحقوق الكاملة، لكنني كعمه بكل تأكيد أستطيع أن أطلب حقوقاً مساوية لحقوقك على الأقل»، هو توقف. «أنا أعطيك كلمتي بأنني لن أحاول أخذ الطفل إلى خارج البلاد. هل هذا يرضيك؟».

هاريت حركت كتفيها بإعياء. «أنا أشك بأنني أستطيع إيقافك، إذا أردت أن تفعل»، هي قالت. «متى تريد أن تأخذه؟ غداً بعد الظهر؟ إذا حددت لي وقتاً، فأنا سأقوم بتحضير أغراضه».

«هل نقول الساعة الثالثة؟ وأنا سأعيده إليك مساء الأحد».

«حسناً جداً»، وافقت بخمول. لقد كانت بداية النهاية، هي عرفت. هو لن يخطف نيكي بعيداً كما فكرت في البداية، لكن فصل الطفل منها بدرجات. وليس هناك من شيء تستطيع أن تقوم به حيال ذلك.

هو قال: «حتى الغد، إذن». هو مد يداً وداعب لفائف شعر نيكي، ثم مرر أصبعاً على خده. للحظة رهيبة، تعجبت هاريت إذا كان سيحاول نفس المداعبة عليها، لأنها لم تكن واثقة تماماً بأن ردة فعلها ستكون لديها البرودة الضرورية، لكنه لم يقم بمحاولة لمسها ثانية.

هو قال: «هيريت»، وخرج من الغرفة، وأغلق الباب خلفه.

وقفت هارييت حاملة نيكي، ذراعاها مشدودتان حوله حتى تململ في احتجاج، طالباً إنزاله وإعطاءه الشاي. توسلت، هو أراد، ومربى وبرتقال.

«نعم، يا عزيزي»، هي وعدت، لأنه عادة في هذا الوقت يأكل عند ماندا. لكنها لم تنزله على الفور، هي حملته إلى النافذة وسحبت الستارة، ونظرت إلى الشارع في الأسفل.

كان أليكس ماركوس على وشك الدخول إلى السيارة، عندما هي راقبت، هو التفت ونظر إلى النافذة، رافعاً يده في اعتراف ساخر لوجودها. غاضبة من نفسها، هارييت تركت الستارة تنسدل بسرعة إلى مكانها، وانتقلت بعيداً، متمنية لو أنها كانت قوية العقل كفاية لكي تتجاهل مغادرته... وتعجبت لماذا هي فشلت...

كان يوم الجمعة نهاراً بائساً. اتصلت هارييت هاتفياً أول شيء بموظف شؤون الموظفين في العمل وتلقت جواباً تعاطفياً عندما أعطت مشاكل عائلية كسبب لمغادرتها المتسرعة اليوم السابق، ولغيابها المتواصل، عندئذ هي اتصلت هاتفياً بماندا وأخبرتها بما حدث، أو على الأقل صورة منقحة.

هي ما زالت تجد صعوبة لتصدق بأنها تصرفت كما فعلت. هي سمحت للرجل الذي كان غريباً تقريباً، وبكل تأكيد عدوها، كي يقبلها ويثير مشاعر بداخلها التي أبقتها مستيقظة وقلقة معظم الليل. الجو الدافيء الخالي من الهواء للغرفة لم يساعدها أيضاً، وأكثر من مرة هارييت، وجدت نفسها تتمنى بكآبة كليشيه راحة من دوش بارد. لكن كان فقط الأشخاص أصحاب المال والحمامات الخاصة هم الذين

يستطيعون تحمل مثل هذه الكماليات، هي فكرت بندم. الحمام الذي تشاركه ليس لديه شيء سفسطائي كالدوش في أية درجة حرارة.

سمعت ماندا تفسيرها لماذا نيكي لم يقضي النهار معها بدون مزيد من التعليق. وعندما انتهت هارييت هي سألتها فقط: «وما هو شكله... أليكس ماركوس؟».

حتى في أذنيها، ضحكة هارييت بدت اصطناعية وهي تأملت بحماس أن ماندا ستزعم أنه كان تحريفاً ما على الخط. «أوه... فقط كما تخيلين، على ما أعتقد. الجواب لصلاة العذراء».

«اعتماداً، بالطبع»، قالت ماندا بأسى، «على لأجل ماذا كانت تصلي العذراء، أراك، يا حبيبتي، كوني حذرة».

عندما أعادت السماعة، تعجبت هارييت على النغمة الحقيقية من التحذير في صوت ماندا، وعكست بالأحرى بيأس أنه لا جدوى من محاولة استغفالها، حتى عن بعد.

هي رتبت ونظفت الشقة ثانية، ثم وضعت نيكي في العربة وأخذته إلى المحلات القريبة التي أحبها. كانت الشمس مشعة، والبقال الإيطالي أعطاه برتقالة، وهارييت، في لحظة ضعف، اشترت له بعض الحلوى. وبينما كانت في كشك الصحف هي اشترت لنفسها صحيفة يومية، وبعض المجلات، لأن لديها نهاية أسبوع كاملة لتملأها لمرة واحدة.

بالطبع هي لن تقيم في الشقة، قالت لنفسها بشجاعة. دائماً وعدت نفسها بأنها ذات يوم ستقوم بجولة سياحية... أن تذهب إلى المتحف البريطاني، أو حديقة الحيوانات، أو تأخذ زورقاً إلى غرينتش...

لكنها كانت دائماً تضع الفكرة في مؤخرة عقلها، قائلة لنفسها أنها تستطيع الانتظار حتى يكبر نيكي ويستطيع الاستمتاع بها معها. حسناً، يبدو أن هناك نقطة صغيرة في تأخيرها فترة أطول، فكرت، مع نوع من تصميم تعيس.

طهت طعام نيكي المفضل للغداء... أصابع سمك، وطبخت البطاطا والشيبس بالفرن. ماندا، التي تؤمن بالأطعمة الكاملة والغذاء المتوازن، كانت ستعبس قليلاً، لكن نيكي كان مبتهجاً وأكل كل قطعة، بما في ذلك الآيس كريم الذي تلاها.

حاولت هاربيت أن تشرح له بأنه سيأخذ إجازة قصيرة مع عمه، لكنها لم تكن واثقة كيف ستعبر له، لأنه بدا مهتماً كثيراً بألعابه من السيارات بدلاً من حقيقة أنها كانت تحزم أغراضه الليلية وأفضل ثيابه في حقيبة صغيرة.

هو فقط طفل، فكرت عندما راقبته يلعب، ملتهية تماماً إلى اضطرابها العقلي والعاطفي. كان صغيراً جداً ليؤخذ من كل الأمان الذي عرفه، وليصبح يتكلم اليونانية، وكل تلك الأشياء التي عليه أن يتعلمها.

مع ذلك من جهة أخرى كان هناك الخطر الحقيقي أنه بدافع الحب وعدم الخبرة هي قد تحتفظ به طفلاً لفترة طويلة جداً، وقد تحاول المزيد من الجهد لحمايته من العالم الذي كان هو جزءاً منه مثلما كانت هي نفسها. نفوذ رجل في حياته ربما كان أساسياً، فكرت هاربيت... لكن ماذا سيكون تأثير شخص ما مثل أليكس ماركوس، ثروة، استخفاف، ولا أخلاقية، على عقل طفل انطباعي؟.

لقد كان لا مفر منه أنها عندما جلست مع صحيفة وكوب قهوة بينه نيكي يلعب على السجادة عند قدميها، يجب أن تكون صورة أليكس أول شيء يقفز عندها. ومرة ثانية، لا مفر منه، كان عامود القيل والقال، وهو لم يكن وحيداً. كان جالساً عند طاولة في مطعم أو نادي ليلي... هاربيت لم تتعرف على الاسم على أي حال... والفتا بجانبه، تبتسم بإشراق إلى الكاميرا ذراعها في ذراعه ورأسها على كتفه.

رأسها الأحمر على كتفه، اكتشفت هاربيت عندما قرأت القطعة التي ترافق الصورة. أليكس، هي تقول، كان في لندن في رحلة عمل وعارضة الأزياء الجميلة فيكي هانلون كانت فقط الفتاة التي ساعدته لينفك عن برنامج عمله.

علق المحرر بقوله، «مسكين أليكس يقود مثل هذه الحيا المزاجية، أنا فقط أريد مساعدته ليسترخي قدر الإمكان».

«اللعنة!» قالت هاربيت بعنف، وألقت الصحيفة كأنها عضتها، نزلت الممشى إلى الحمام وغسلت وجهها ونظفت أسنانها جيداً التي، بينما إيماءة لا طائل تحتها نسبياً، مع ذلك جعلتها تشعر بتحسن. هي كانت، منفعلة بازدياد عندما اقتربت الساعة الثالثة. كان نيكي قد تعب من ألعابه وطلب قصة، وهي فقط كانت تتبع «الرجل الصغير جنجر بريد»، مع العنزات الثلاث عندما سمعت صوت باب سيارة يغلق في الشارع تحت.

تردد صوتها وتلاشى في وسط تهديد المنشد، وجسمها بكامله توتر، قفز نيكي وقال، «المنشد».

هي عانقته بعنف. «مرة أخرى، يا حبيبي، جاء... جاء عمك لكي يأخذك، وأنت ستقضي وقتاً ممتعاً».

تذكرت ما قاله أليكس في اليوم السابق حول ذراعيها الحاميتين وكانت حذرة لتدع نيكي يسير بجانبها إلى الباب عندما رن الجرس.

راحتاها كانتا رطبتين، وكان فمها جافاً. مشطت شعرها حتى لمع، والحقيقة أن الثوب الذي اختارته لكي ترتديه كان دليلاً كافياً على أنها كانت على وشك أن تجعل من نفسها حمقاء مطلقة.

فتحت قفل الباب وأدارت المسكة.

كان هناك في الخارج رجل، بدين في زي سائق، وقبعته تحت ذراع واحد، وتصحبه امرأة متوسطة العمر ذات شعر أسود رمادي والتي بدت عصبية.

لقد كانت المرأة هي التي تكلمت. «آنسة ماسترز... أنا يانينا، أنا جئت من عند كيريوس ماركوس لإحضار ابن شقيقه، نيكوس الصغير».

ملامحها القلقة انفرجت إلى ابتسامة عريضة عندما لمحت نيكي، الذي انتكس إلى خجل سريع عند رؤية الغريبين والذي كان ينظر إليهما خلسة من خلف تنورة هاريت.

جثمت، ومدت ذراعيها وتمتمت مشجعة باليونانية، وببطء تقدم نيكي نحوها.

التقطت هاريت حقيبته وناولتها إلى السائق، الذي طأطأ برأسه احتـ ا لها.

ـد كيريوس ماركوس أن يؤكد لك أن الطفل سيعاد إليك مساء

الأحد، ليس بعد السادسة»، هو قال في لهجة إنكليزية ثقيلة حذرة.

«أشكرك». ترددت هاريت. «أنا... أنا اعتقدت أنه سوف يأتي ليأخذ نيكي بنفسه».

بدا السائق مندهشاً. «هو ينتظر تحت في السيارة، يا آنسة، إذا كانت لديك رسالة له، فإنه يسعدني أن أبلغه إياها».

ليست، فكرت هاريت، من نوع الرسالة التي في ذهني، اغتصبت ابتسامة وهزت رأسها، وتراجعت عندما يانينا أخذت يد نيكي وبدأت تقوده بعيداً. هو نظر إلى الوراء مرة وكشر ولوح بيده، وهاريت شعرت بغصة ترتفع في حنجرتها عندما أغلقت الباب بينهم.

هذه المرة، خيول برية لن تجرها إلى النافذة لتراقبهم وهم يذهبون.

إذن هو قرر البقاء تحت في السيارة، التي كانت طريقة ناعمة لإعلامها بأن لا تقرأ الكثير في القبلة. هل هو أحس شيئاً ما في تجاوبها الجاهل غير المحروس لما هو اعتبرها مداعبة عادية التي حذرته بأنه قد يكون الألطف الحفاظ على مسافته؟

الفكرة جعلتها تشعر بالخزي إلى القلب. هي شعرت بالمرض والفراغ، ورغم أنها حاولت أن تضع اللوم في هذا على مغادرة نيكي، فهي عرفت أنها كانت تستغفل نفسها.

الحقيقة المرة التي عليها أن تواجهها كانت أن كل عصب، وكل نبض في جسمها كان يعد الساعات، والدقائق، والثواني قبل أن ترى أليكس ماركوس ثانية. وعرفت أيضاً أن الألم الذي بدأ بداخلها الآن كان أعمق وأكثر إيلاماً من مجرد خيبة أمل أو كبرياء مجروح، وتذكرت تحذير ماندا، وكانت خائفة.

الفصل الثالث

شعرت هاربيت أنها متعبة بفرح عندما سارت عائدة باتجاه المنزل في وقت متأخر مساء يوم الأحد. قامت بكل الأشياء التي وعدت نفسها لتقوم بها، واستطاعت أن تملأ نهارها على أكمل وجه للتفكير، حتى أنها عاملت نفسها على الراحة البحتة لشاي بعد الظهر في الفندق.

عندما كانت بيكا تحمل نيكي، ألمحت ذات مرة ضاحكة أنه عندما كنت حاملاً، كل شخص آخر تلتقيه يبدو ليكون في نفس الحالة. على النقيض، فكرت هاربيت، عندما كنت وحيدة، كل شخص آخر يبدو

يكون في أزواج. لكن عندئذ كانت لندن دائماً مكاناً سيئاً تكونين فيه في عزلة.

لكنها لم تكن مضطرة لتكون وحيدة، هي قالت لنفسها. إذا وعندما يذهب نيكي إلى اليونان، ستجد شقة تشترك فيها مع فتيات من سنها. هناك الكثير من الإعلانات.

فتحت الباب الأمامي ودخلت إلى القاعة، لتواجه بواحدة من مستأجرات الطابق السفلي، تنظر بعنف. «ثلاث مرات!» هي أعلنت مع نوع من الانتصار الحانق. «ذلك هو عدد المرات التي رن فيها جرس الهاتف لك في الساعة الماضية، يا آنسة ماسترز، وأنت لم تكوني هنا».

«أنا آسفة»، قالت هاربيت بارتباك. «هل هناك رسالة؟».

السيدة روبرتسون أحضرت قطعة من صحيفة. «أنت عليك الاتصال بهذا الرقم وتطلبي هذا الفرع. والآن اسمحي لي بأن أعود إلى برنامج تلفزيوني»، أضافت بعداء كأنها اشتبهت أن هاربيت كانت على اتفاق مع المستدعي المجهول لكي تبعدها الدقائق الأخير من مسلسل «المال والسلطة».

أدارت هاربيت الرقم، وجاءها الجواب من جهاز هاتف فندق لندني شهير. بصوت خافت أعطت رقم الفرع، وفكرت بعصبية. «نيكي... يا إلهي، شيء ما حدث لنيكي!».

أجاب أليكس ماركوس بسرعة كأنه كان ينتظر بجانب الهاتف. قلبها أعطى طرقة غريبة عندما سمعت صوته، ومن ثم كانت مدركة لشيء ما آخر... أصوات خلفية التي لا يمكن إغفالها فنيكي كان يصرخ

بغضب.

سألت في هلع سريع: «هل هو مريض؟».

«أتمنى لو أستطيع أن أقول نفس الشيء لهذا التصرف. هو يبدو ليكون قد أفسد تماماً. صحة كاملة»، قال أليكس ماركوس بعبوس، الليلة الماضية استطاعت يانينا أن تجعله ينام بصعوبة. هذا المساء كان ذلك مستحيلاً. كل شيء جربته معه كان فاشلاً. هو فقط يصرخ عالياً وينادیك».

«هو ليس فاسداً بتاتاً»، قالت هاريت بغضب. «أنا في الواقع لست أدري ماذا توقعت غير ذلك. هو صغير جداً ليتقبل مثل هذا التغيير الكامل في بيئته في خطوته. هو في غرفة غريبة مع وجوه غريبة من حوله، وهو خائف».

«أنت فقدت مهنتك، يا آنسة ماسترز، أنت يجب بكل وضوح أن تكوني طبيبة نفسانية للأطفال»، هو تشدق. «هل خطر ببالك أن تحذري يانينا بأنه قد يتفاعل بهذه الطريقة؟».

تنهدت هاريت. «أنا بكل أمانة لست أدري. هو... هو ذهب معها برغبة كافية، وأنا حاولت أن أشرح له بأنها إجازة قصيرة...».

هو قال بحزم: «حسناً جداً، يا آنسة ماسترز، أنت بريئة. هو، كما تقولين، طفل صغير جداً، وهو متكدر بعمق. إذا أرسلت سيارتي لك، فهل ستأتين إليه؟».

ابتلعت هاريت بريقها. «بالطبع».

سمعت هاتفه يقفل، وهي أعادت سماعتها.

ذهبت إلى الطابق العلوي للشقة ووقفت تنظر حولها بعجز، متعجبة

ماذا يتوجب عليها أن تفعل. لم تكن تدري هل يتوجب عليها أم لا أن تحزم كيساً ببعض الثياب الضرورية لليل. هو لم يقل شيئاً حول بقائها الليلة مع نيكي، وربما يتوقع منها العمل على تهدئته وجعله ينام قبل أن يعيدها السائق ثانية.

في النهاية، تصالحت على حزم بعض الثياب الداخلية النظيفة وفرشاة أسنانها في قاع أكبر حقيبة كتف لديها.

كانت السيارة عند الباب قبل أن يبدو ذلك ممكناً. ستفضل الجلوس في المقدمة مع السائق، لكنها بحزن أدخلت إلى الخلف، وحتى قدمت لها سجادة لتوضع حولها، والتي رفضتها.

حدث كل ذلك بسرعة لدرجة أنه لم يكن لديها الوقت لتكون عصبية أو تأخذ في الاعتبار والتعقيدات لما تقوم به، أو ليس لغاية الآن. جالسة وحيدة في الرفاهية غير المعتادة للسيارة، حاولت تركيز أفكارها وعواطفها، مذكرة نفسها المرة تلو المرة أنها كانت فقط ترى أليكس ماركوس ثانية لأن نيكي يحتاجها، وأن اهتمامها يجب أن يكون له.

حتى بدأت تتعجب فيما إذا كانت لدى أليكس أفكار ثانية حول أخذ نيكي إلى اليونان، مع الطموح بمشاهد ليلية للتنافس معها.

الجناح الذي يحتله أليكس كان على الطابق الثاني للفندق، وحالما غادرت هاريت المصعد، استطاعت أن تسمع نيكي يزمجر.

قادها السائق على طول الرواق وطرق الباب. فتحت أليكس الباب نفسه. كان يرتدي ثياباً عادية، وبالرغم من طبعه السيء، بدا أكثر جاذبية من ذي قبل، فكرت هاريت، ومعدتها عقدت نفسها في عقد.

قالت بدون وعي: «يجب أن تسميه ماكبث!».

حدق إليها. «بالله عليك ما هو هذا الاسم الذي تتحدثين عنه؟».

«إنها مسرحية»، قالت بسرعة. «بواسطة شكسبير. قتل ماكبث وهو نائم فيها، عندما هو قتل دونكان».

التوى فمه. «أنا أتخيل جيراني غير المحظوظين في الأجنحة الملاصقة قد يتأملون نفس الحل. لقد كانت هناك استعلامات متحفظة من الإدارة، أنت تفهمين». هز رأسه. «أنا لم أعرف أن رئتي طفل يمكن أن تكون لديهما مثل هذه القوة!».

كان هناك مهد في غرفة نيكي وهو كان واقفاً فيه، ممسكاً القضبان بقبضتين صغيرتين يائستين، ووجهه منتفخ من البكاء.

يانينا جلست على كرسي مواجه له، ووجهها الأمومي متبرم بنوع من اليأس عندما تحدثت إليه في وتيرة سريعة. كوب من الحليب المتخثر على طاولة جانبية، ومشروبات فواكه مختلفة غير ملموسة، تحمل شهادة خرساء لمحاولاتها إيجاد شكل ما من المهادنة. عندما هي دخلت الغرفة، تعثر قدم هاربيت على شيء ناعم فنظرت لترى دب نيكي اللعبة. انحنت واستعادته. إلقاء لعبته المحبوبة عبر الغرفة كان الأخير في الإيماءات اليائسة فيما يتعلق بنيكي.

كان هادئاً عندما اقتربت هاربيت من المهد، كيانه كله كان مجذوباً نحو الداخل، متيقظاً لإنتاج الانفجار التالي من الكرب عند الحجم الأقصى، وعندئذ هو رآها. صرخ ثانية، لكن بنغمة مختلفة، وذراعاه امتدتا إليها إلزامياً.

عندما رفعته، تمسك بها بعنف، ملتصقاً مثل بطلينوس مبلل.

«آنسة ماسترز، أنا آسفة، آسفة جداً». كانت يانينا نفسها تبكي. «هو لا يريد شيئاً ولا أحد سواك».

أعطتها هاربيت ابتسامة مطمئنة وبدأت تذرع الغرفة جيئة وذهاباً مع نيكي، تحمله بإحكام وتناغيه، كما كانت تفعل بيكا عندما كان يسنن. بطء النشيج الانقباضي الذي مزق جسمه بدأ يضعف حتى أصبح هادئاً، ما عدا شهقات عرضية. تدريجياً يد واحدة عزلت قبضتها المؤلمة على عنقها، وعرفت بالفطرة أن إبهامه ذهب إلى فمه. وزنه تغير أيضاً. هو بدا أثقل لأنه استرخى، فعرفت هاربيت أنه ربما كان أكثر من نصف نائم.

تأكيداً لهذا، همست يانينا «عيناه مغلقتان، يا آنسة، الحمد لله! الطفل الصغير المسكين!» انتقلت إلى المهد وبدأت تقومه وتمهد الشراشف والبطانيات وتهز الوسادة الوحيدة.

استدارت هاربيت وبدأت طولاً آخر من الغرفة، تتباطأ بخطوتها عمداً، عندما فعلت هكذا، رأت أليكس واقفاً في المدخل يراقبها، حاجباه مسحوبان معاً في عبوس عاصف. عضت على شفتها. بكل وضوح طرقها مع نيكي لم تلاقي استحساناً لديه، إذن لماذا هو أرسل في طلبها؟ غامرت بنظرة أخرى إلى المدخل ورأت أنه قد ذهب

عندما هي كانت واثقة أن نيكي انزلق من حافة النعاس إلى نوم فعلي، حملته إلى المهد ووضعته فيه بلطف، ومهدت الأغطية بعناية فوق جسمه الصغير. كان وجهه لا يزال مبقعاً بالدموع، شاهدت بغصة. استقامت مع تنهيدة، وذهبت إلى الباب حيث كانت يانينا تنتظرها، ونظرت حولها أولاً لتتأكد أن نيكي لم يتحرك.

كانت متشوقة جداً للتقدم إلى جانبه لتلاحظ محيطها، لكنها الآن ركت أنها كانت في غرفة جلوس كبيرة، التي خارجها الغرف لأخرى يفترض أن تكون مفتوحة.

ظهر نادل مع عربة، ورأت هارييت لدهشتها أن الأغطية قد أزيحت بمهارة لتكشف عن تشكيلة من الساندويشات الشهية والأطعمة الأخرى، وإنه كانت هناك زجاجة من الشراب تبرد على الثلج.

كان أليكس مسترخياً على إحدى الصوفات، لكنه نهض عندما دخلت بارتياب إلى الغرفة. كان قد توقف عن العبوس، هي رأت، بعد الابتسامة الرسمية التي أعطاها إياها والتي لم تصل إلى عينيه.

«الشراب هو الأفضل في العالم»، هو قال. «أنا واثق أنك بحاجة إليه مثلي».

فكرت هارييت بكآبة بالمناسبتين الاخريين في حياتها عندما شربت هذا الشراب... عند زفاف بيكا، وعند تنصير نيكي. دائماً اعتبرته كشكل من ،احتفالأفخم بدلاً من مقوي، لكنها كانت راغبة لتكون مقتنعة.

اختارت مقعداً على الصوفا المواجهة للصوفا التي احتلها أليكس، وادعت أنها لم تشاهد تعبير السخرية الذي لاح على وجهه.

«أرجوك ساعدي نفسك»، أخبر هارييت بمودة. «أرجو أن يعجبك السلمون المدخن».

تمتمت هارييت شيئاً ما بمراوغة. تكون ملعونة إذا كانت ستعترف بأنها ليست لديها أدنى فكرة إذا أعجبت به أم لا. وذلك الوعاء المليء بشيء ما أسود ويلمع... بكل تأكيد ذلك لا يمكن أن يكون كافيار؟

كانت هناك أيضاً طيور، دجاج محشي وفطر بصلصة الكريم. لقد كا ذلك كله صرخة بعيدة من البيض المقلي على توست خططته للعشاء وكانت جائعة أيضاً. لقد مضى وقت طويل على شربها للشاي، لكنه في نفس الوقت عرفت أن وجود أليكس سيكون له تأثير على شهيتها.

أخذت الكوب الطويل النحيل الذي ناولها إياه بدون أن يبتسم، وارتشفت قليلاً من محتواه، متمنية للمرة الأولى في حياتها عرفت ما يكفي عن المشروبات.

تذوقت القليل من كل شيء على العربة، مدركة طول الوقت للفحص الواعي للرجل الجالس قبالتها. هو لم يأكل شيئاً، لاحظت فقط شرب شراباً وأعاد ملء الكوبين عندما أصبح ذلك ضرورياً.

أخيراً حطم أليكس الصمت. «أنا حاولت الاتصال هاتفياً بك عدة مرات هذا المساء». ارتفع حاجبه بسخرية. «أنا بدأت أعجب إذا كنت قد استفدت من غياب نيكي بقضاء الليلة مع عشيقك».

مدركة أنها قد ابتلعت الطعم، ابتسمت هارييت بعذوبة، وحصرت جوابها بكلمة، «لا».

«مع ذلك فإن استدعائي لك يجب أن يكون قد أزعج خططك بطريقة ما على الأقل».

فكرت هارييت بدون ندم بالبيض المقلي. «فقط قليلاً».

«أنت محظوظة. لقد اضطررت إلى تأجيل موعد هذا المساء».

جلسة استرخاء أخرى مع محبوبته الجميلة ذات الشعر الأحمر؟ تعجبت هارييت.

كان من المحتمل أن الشراب هو الذي جعلها تقول، «لا بأس، يا

يد ماركوس، أنا واثقة أنها ستصفح عنك».

ابتسامة خفيفة لمست زاويتي فمه. «الآن ما الذي جعلك تعتقدين ن موعدي كان مع امرأة؟ يتوجب عليك أن لا تصدقي كل ما تقرأينه ني الصحف».

«أنا لا أصدقها»، هي أنكرت بمزيد من السرعة أكثر من الكرامة، «أقرأ الصحف، أنا أعني. . . أو على الأقل القراءة عنك فيها».

«أنت تدهشينني، بالحكم على بعض ملاحظاتك إلى فيلبيدس، أنا تخيلت أنك قمت بدراسة مدى الحياة لطريقة حياتي عبر أعمدتها».

مضيقاً عينيه، هو رفع كأسه، دارساً بسحر واضح الفقاقيع التي ترتفع إلى حافته.

«مسترقي السمع»، قالت هاريت بإغراء، وأخذت ساندويشاً آخر من السلمون المدخن، «نادراً ما أسمع أي خبر عن أنفسهم. كيف عرفت رقم هاتفي على أي حال؟».

هو تنهد. «أنا وضعت ملاحظة عنه عندما كنت أغادر بالأمس. . . في حال حدوث طارىء كهذا».

«حسناً، أنا قلما تخيلت أنه سيكون لأي سبب آخر»، هي سخرت.

«تناولي مزيداً من الشراب». هو أعاد ملء كأسها. «ربما هو سيجعل تصرفك أكثر حلاوة».

«أنا لا أعتقد ذلك»، هي قالت. «نيكي يفقد أعصابه من جانبي العائلة».

«أنت تخيفينني. طبع آل ماركوس يفترض أيضاً أن يكون قهاراً».

«مسكين نيكي. هو قد لا يبتسم ثانية»، قالت هاريت ببشاشة.

«ذلك هو ما كنت أخشاه»، هو تمتم. «هل سينام الآن حتى الصباح، حسب اعتقادك؟».

«أعتقد ذلك». هي نظرت حولها بحثاً عن حقيبتها. «أنا. . . أنا في الواقع يجب أن أذهب».

«أنا لا أعتقد»، قال أليكس. «بحسب رأيي إنه سيكون أفضل بكثير لو تكونين هنا عندما يستيقظ».

هاريت لم تقابل نظرته. «أنت تعني. . . أنك تريدني أن أعود قبل أي شيء في الصباح».

«أنا لا أعني شيئاً من ذلك النوع»، هو قال بغيظ. «أنا اقترح بأن تقضي الليلة هنا».

استمرت هاريت بالتحديق إلى السجادة. «أنا في الواقع، أفكر أنه سيكون من الأفضل لو ذهبت إلى البيت».

«وأنا لا أستطيع تكوين سبب واحد معقول لماذا يتوجب عليك أن تفعلي هكذا». العينان السوداوان ومضتا بخبث. «لماذا عنيدة هكذا، يا عزيزتي هاريت؟ هل أنت خائفة أن السرير الذي أقدمه لك هو سريري؟».

قررت أنها تناولت ما يكفي من الشراب ووضعت الكأس.

قالت: «لا، أنا لست خائفة، لكنني أعترف بأن ملاحظات كتلك هي ليست مطمئنة تماماً».

التوى فمه. «هل ذلك هو ما تريدينه. . . التطمين؟».

قالت بإعياء، «أنا لا أريد أي شيء منك، يا سيد ماركوس. أنا جئت إلى هنا الليلة لأن نيكي يحتاجني، وليس لأغوص معك في أية

ارك شفهية أو أي نوع. أعتقد أنه من الأفضل أن اذهب إلى بيت».

«لا، أمكثي»، هو قال، وكانت هناك نغمة حقيقية من الأوتوقراطية في صوته. «أنا أعترف بأنه يسليني أن أجعلك تتوردين، لكن ليست لدي تصاميم على فضيلتك. وإذا كنت في مزاج لامرأة الليلة، فسوف أختار شريكة راغبة. وليس عذراء خائفة»، هو أضاف، والعينان السوداوان رفرفتا فوقها بوحشية.

لم تكن لدى هاريت أدنى رغبة في منحه أي مزيد من التسلية، لكنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً لمنع اللون الخادع من الصعود إلى وجهها. هو جعل كونها عذراء يبدو كإهانة، فكرت بعنف، وعرفت ترسيخاً آنياً لتنكر قطعاً أنها كانت أي شيء كهذا الذي قمعته بسرعة. كان في مزاج غريب الليلة، وعرفت لتكلفتها كم لا يمكن التنبؤ به. محاولة أن تبدو متمالكة نفسها، قالت: «أشكرك. هل أشارك بغرفة نيكي؟ أنا رأيت أن هناك سريراً و....».

«لا»، هو قال. «يانينا تنام هناك، غرفتك هي هناك»، هو أطرق برأسه إلى الباب على الجانب المقابل للغرفة.

أخذت هاريت على حين غرة. «لكن إذا استيقظ نيكي....» هي بدأت.

«عندئذ يانينا بدون شك ستناديك»، قال بضجر. «لماذا تختلقين الصعوبات حيث لا وجود لها؟ كل شيء هو معد لك هناك».

كبتت هاريت تنهيدة. «حسناً جداً. تصبح على خير، يا سيد ماركوس».

هو أعطاها نظرة ساخرة. «بما أننا ستتشارك بغرفة الحمام، فرب من الأفضل أن تناديني أليكس». ضحك على ملامحها المذعورة. «لا تظهري هكذا مضروبة»، هو سخر. «هناك قفل على داخل الباب الذي يمكنك استعماله. هل تعملين كل هذه الضجة في منزلك حيث كل يوم تشاركين بالحمام مع نصف دستة من الأشخاص الآخرين أو أكثر؟».

تلك، فكرت هاريت، كانت مسألة مختلفة تماماً، وهو عرف ذلك.

قالت بهدوء: «إن اهتمامي الوحيد، يا سيد ماركوس، هو أنني على ما يبدو أتسبب لك بمقدار كبير من الإزعاج».

«أنا أصبحت معتاداً على ذلك». عندما وقفت هاريت على قدميها، هو وقف أيضاً. «وأنا أخبرتك بأن تناديني أليكس».

«أنا لا أرى حاجة لذلك»، قالت هاريت بهدوء. «بعد كل ذلك، نحن... نحن غريبان... أو نسبياً هكذا»، أضافت عندما بدأت تضحك ثانية.

«غريبان؟» هو استعلم. «أنت لديك ذاكرة قصيرة، أيتها الصغيرة. متناقضان، ربما، لكن قلما نكون غريبين». للحظة العينان السوداوان استراحتا بتأمل على فمها، وهاريت شعرت نفسها ترتجف داخلياً.

«نعم، حسناً»، هي قالت بحماقة. «أعتقد أنني سأذهب إلى السرير».

كشر وتحرك إلى الأمام، وهاريت جعلت نفسها تقف في أرضها، كانت شاكرة لأنها فعلت هكذا، ولم تقفز بعيداً كالحمقاء، لأنه كان

ط يتناول مزيداً من الشراب، وليس لها بتاتاً.

أعطته ابتسامة بلا معنى وسارت نحو الباب الذي أشار إليه، مدركة ه كان يراقب كل خطوة لها على الطريق. لقد كانت راحة بأن تغلق لباب بينهما.

لقد كانت غرفة كبيرة، مجهزة برفاهية وكفاءة في ظلال من البيج والشوكولا، لكنها مجهولة تماماً نفس الشيء في الطريقة التي عليها غرف الفنادق الحديثة، الحمام لم يكن أصغر بكثير، مع كوة للدوش وحوض غارق يختفي خلف أبواب زجاجية مدخنة، مع مرايا مضاءة مثل غرفة الزينة لنجمة سينمائية. كانت هناك وفرة من المناشف، وفي إحدى الخزائن، وجدت هارييت مناديل ورقية، وشامبو، ولفافات شعر على الكهرباء.

هي التقطت نظرة إلى نفسها في إحدى المرايا عندما استقامت، ووجهها بدا شاحباً ومجهداً. هي لم تكن نحيلة، كانت رفيعة. قميصها الأزرق كان نظيفاً وأصبح معقولاً.

لكنها للمرة الأولى تمنت لو أنها كانت شخصاً مختلفاً تماماً، شخصاً ما خبيرة، التي تعتبر الجنس كواحد من ملذات الحياة العديدة التي عليه أن يهبها، شخص ما الذي سيجذب أليكس ماركوس، والتي تستطيع أن تشير بدون كلام أنها كانت من نوع الشريكة الراغبة التي يشتهيها.

لكن تلك ليست أنا، هي قالت لنفسها بكآبة. كل ما أشير إليه كان تشبثي.

عندما عادت إلى غرفة النوم، وجدت فجأة أنها كانت تفكر بكوستا

ـيكا. لقد كان من غير المعقول أن أليكس وكوستا كانا فعلاً شقيقين.

تذكرت هارييت بذكاء كم كانا مغرمين ببعضهما. كم كان كوستا ـماً قوياً مع شقيقتها، وكم كان رقيقاً وحامياً. وعندما ولد نيكي، هو قلما كان قادراً أن يحتوي كبرياءه فيهما.

جلست على حافة السرير، ووضعت أصابعها في حضنها بإحكام، كل هذا كان بالإمكان تجنبه بسهولة، هي فكرت. لو أنها فقط لم تفقد صوابها وبدت بعيدة للسيد فيليبدس، ما كانت التقت بأليكس، أو على الأقل إذا حدث فإنه بكل بساطة سيكون نقاشاً رسمياً تماماً في مكتبي محاميين. لن تكون وحيدة، فكرت بألم.

أعطت نفسها هزة عقلية. كانت مكتئبة لأنها كانت متعبة بعد التجوال حول لندن طول النهار، ومن ثم الاستدعاء العصبي غير المتوقع للتعامل مع نيكي. وهي لم تكن معتادة على الشراب. لذلك كانت أفكارها تطير بشراسة في كل أنواع الاتجاهات غير المرغوبة وغير المتوقعة. النوم، هي قررت، هو ما تحتاج إليه.

كانت شاردة آنياً بإيجاد قميص نوم واسع كالخيمة مطوي على السرير الآخر. لقد كان مصنوعاً من القطن. للحظة، فكرت هارييت ـب بأنه كان لفتة خبيثة من أليكس، ومن ثم أدركت بخجل بأنه ـب أن يكون إلى يانينا، التي لطفها كان بعيداً عن اللوم.

جمعت طيات قميص النوم بحيث تستطيع الذهاب إلى الصوفا. عندما التقطت محفظتها، سمعت صوت مفتاح في الباب الرئيسي ـاح، واستدارت بعصبية لتركض طلباً للغطاء. لكن عندما فعلت ـا طية شاردة من قميص النوم التقطت على طاولة صغيرة واقفة

بجانب الصوفا فقلبتها، ومعها منفضة سجائر.

تمتمت هاريت، «أوه، يا للجحيم!» وركعت لكي تستعيدها. عندما فعلت هكذا، سمعت الباب يفتح ويغلق وصوت أليكس يقول، «أيها القديسون!».

استقامت ببطء، والتفتت لكي تواجهه. كانت مستعدة للتسلية، لكنه لم يكن يضحك. لقد كانت هناك نظرة هلع موقوفة غريبة على وجهه التي ببطء أفسحت في المجال إلى نوع من الغضب، لكنه بالتأكيد لم يكن يضحك.

«أنا آسفة». بدون سبب تستطيع أن تسبر غوره، شعرت هاريت بأن عليها أن تعتذر. رفعت محفظتها. «أنا... أنا كنت أبحث عن فرشاة الأسنان».

لم يقل شيئاً. خطوته السريعة المتبرمة أخذته متجاوزاً إياها، عبر غرفتها وإلى الحمام وراءها. عندما هاريت اقتفت أثره، فتح خزانة وأخرج حفنة من فراشي أسنان جديدة في لفافات من السيلوفان التي ألقاها إليها.

نظر إليها بنوع من الإعياء، «هل هناك شيء آخر تحتاجينه... آنسة ماسترز؟».

قالت بصوت أجش: «لا... نعم، أنا أعني... هل يمكنك أن تريني كيف يعمل الدوش؟».

«إنه سيكون من دواعي سروري»، قال ببرود.

بلاط الأرض كان بارداً تحت قدميها العاريتين عندما وقفت وراقب يعمل على أقراص ورافعات مختلفة. أخيراً فتح الماء وعدل الحرارة.

«هل ستستعملين هذا الشيء؟» سأل. «أم هل ستجدين الحمام أسهل؟».

«الدوش سيكون جميلاً»، قالت بسرعة. «أشكرك كثيراً». وضعت حقيبتها على وحدة التواليت وانتظرته ليذهب.

وقف يراقبها، عيناه السوداوان باردتان وفاحصتان. كانت مغطاة تماماً من عنقها إلى قدميها... قميص نوم يانينا ربما كان أكثر ثوب محتشم في التاريخ العالمي... لكنها شعرت كأنها كانت عارية. حنجرتها بدأت تنغلق بعصبية.

قال أليكس بنعومة: «لماذا لا تأخذين دوشك؟ هل أنت بحاجة إلى مزيد من المساعدة؟».

لم تكن قادرة على الحركة. وقفت ساكنة عندما تقدم نحوها. بدون انفعال مد يده وبدأ يفك الصف الطويل من الأزرار من مقدمة قميص النوم. لقد بدا بأنه ليس هناك صوت في الغرفة عدا عن الطرطشة الطفيفة للمياه على البلاط في كوة الدوش، وأنفاسها المعذبة الممزقة.

عندما فك الزر الأخير، تحركت يد أليكس إلى خط العنق، ودفع جانباً القبة الحريرية عندما أصابعه وجدت البشرة الناعمة تحتها في مداعبة ناعمة مثل فرشاة من جناح فراشة. داعب حلقها، ومكث آنياً على القفز المنقبض للنبض عند قاعدته، ثم انتقلت يده بنعومة وبلطف على طول خط كتفها العاري، مبعداً قميص النوم عن جسمها عندما فعل هكذا.

قال بنعومة وبسخرية: «قبل أن أنقل بعيداً برؤية جمالك العاري، يا وردتي الإنكليزية، هل يمكنني أن أعرف من شفتيك أن هذا هو ما

تريدينه؟».

حدقت هارييت إليه، عيناها متسعتان في ارتياب مخيف عندما تابع، «لقد خطر ببالي أن هذا هو نوع من وقت فراغ لديك للاحتفاظ بالسيطرة على نيكوس... إما بأخذي إلى نقطة اللاعودة، ومن ثم بحياء ترفضين، أو تنشدين استجداء كرمي بعذوبة استسلامك». ابتسم ببرود إلى وجهها الشاحب. «أنا يجب أن أحذرك الآن، يا عزيزتي هارييت، أنه ولا تكتيك سينجح. بالإضافة إلى ذلك، المرة الأولى لفتاة مع رجل نادراً ما تكون مريحة أو بالأخص ذات مكافأة، وأنا أكره أن أفكر بأنك تقومين بمثل هذه التضحية من أجل كل الأسباب الخاطئة.

قالت بصوت مختنق: «أنت... سافل!».

«آه» كشر بسخرية وتراجع، مبتعداً عنها. «هل أعتبر ذلك أنك غيرت رأيك بتسليم نفسك لي؟».

شعرت هارييت بالغثيان. «أنا... أنا لن أنوي...».

«لا؟» رفع أليكس حاجبيه بدون تصديق. «إذن لقد كان كله محض مصادفة أنك كنت في الغرفة الأخرى عندما عدت... وأنك كنت بحاجة إلى فرشاة أسنان... وأنك تريدين أخذ دوش؟ وهذا التهكم للثوب مع كشاكشه وأزراره الصغيرة... هل كان أيضاً جزءاً من الخطة؟ إذا كان كذلك، فتهانيّ. نزعه سيكون متعة عظيمة».

«قميص النوم يعود إلى يانينا... كما تدرك جيداً». سحبت هارييت الحواف المفتوحة إلى حلقها بيد مرتعشة. «ولا شيء من تلميحاتك القذرة هو صحيح. أنا هنا لأنك احتجت المساعدة مع نيكي... وليس لأنني أردت أن أكون. أنا لا أريد رؤيتك ثانية... وبالنسبة لما يكمن في الانتظار الأمل بفرصة لكي... لكي أغريك... يا إلهي، هذا هو آخر شيء أريده!» توقفت لالتقاط أنفاسها. «وبالنسبة للدوش»، أضافت بوحشية، «غريب كما يبدو... مثل فرد متغطرس مغرور... مثلك، وأنا لم يكن لدي واحد من قبل، أنا لست أدري كيف يعمل... وأنا لم أكن أريد أن أتجمد أو أسمط...».

«إذن جربيه الآن»، قال من بين أسنانه، وجهه قاتم من الغيظ. «يجب أن تجديه على ما يرام».

حملها، وهي تلبط وتناضل، ووضعها، قميص النوم وكل شيء، مباشرة تحت نافورة المياه. مبللة وتشهق، انزلقت على البلاط المبلل وجلست بتثاقل، وقد صيدت في الياردات الملتصقة للقماش، تسمع بخفوت فوق ضجيج المياه صوت باب الحمام يغلق عندما غادر.

نوعاً ما استطاعت تخفيض تدفق المياه، ومن ثم أوقفته بالكامل. مرتجفة بغضب، خلعت قميص النوم المبلول وقذفته، كومة تسيل، في الزاوية، قبل أن تخطف أحد شراشف الحمام الكبيرة المجهزة بواسطة الفندق ولفت نفسها فيه. هرعت عائدة إلى غرفتها ولبطت الباب وأغلقته خلفها.

كان مشهداً مؤسفاً، خصلات صغيرة لا تحصى من شعرها المبلول انسدلت على ظهرها وكتفيها. بكآبة جففت وجهها، وعصرت الكثير من الماء من أطراف شعرها قدر المستطاع، قبل أن تفركه بقوة بطرف المنشفة.

كانت لا تزال ترتجف داخلياً، وشعرت بأنها قريبة من الدموع.

حاولت أن تخبر نفسها أن سوء التفسير الساخر لأليكس لدوافعها وسلوكها كان كله لأجل الخير. لتلك اللحظات القليلة، فقط لمسته الخفيفة على بشرتها جعلتها تشعر بدوار مع رغبة له. فقط الآن، كان بالإمكان أن تزن في السرير معه، وذلك سيكون كارثة، لأن آخر شيء أرادته هو فقط أن تكون أخرى في الصف الطويل لعشيقاته. وما تريده من أليكس كان شيئاً ما حتى لا تجرؤ على التفكير به.

أرادت أن تحضر مجففة الشعر التي لاحظتها من قبل، لكنها لا تجرؤ. أليكس قد يسمعها تتنقل، وتفتح الخزائن، ولا تستطيع مواجهته مواجهة أخرى.

في الحقيقة، أنه لم يكن لأجل يقظة نيكي في الصباح التالي وربما استدعاءها، كانت قد ارتدت ثيابها وذهبت إلى البيت، حتى ولو كان عليها أن تقطع الطريق سيراً على الأقدام.

وضعت شرشف الحمام على الرادياتور الطويل تحت النافذة الوسطى وزحفت إلى داخل السرير. لقد كانت ليلة دافئة، لكن مضى وقت طويل قبل أن تتوقف عن الارتجاف، وبعد ساعة قبل أن تبدأ أفكارها المشوشة بالانقشاع عند الحواف، وتسللت تدريجياً إلى نوم قلق تتردد عليه صور غريبة ومزعجة.

حلمت أنها كانت وحيدة، وأنها كانت تبكي لأنها كانت وحيدة، ليست هناك راحة في أي مكان. وعندئذ فجأة كانت هناك ذراعان طوقانها واللذين كانتا قويتين ودافئتين، وتمسكانها عن قرب، وحلمت أنها التفت إلى تلك القوة، كالزهرة للشمس، وهمست، «أليكس»، مبتسمة في نومها.

الفصل الرابع

الحلم بدا حقيقة لدرجة أنها كانت صدمة عندما فتحت عيني مكرهتين الصباح التالي ووجدت أنها كانت وحيدة. جلست ببطء ودفعت شعرها إلى الوراء عن وجهها، وتعجبت ما الذي أيقظها، و ثم سمعت طرقة ناعمة على الباب وصوت يانينا، «آنسة ماسترز.. الصغير استيقظ وهو يسأل عنك».

«أنا سآتي حالاً»، نادت هاريت، ودفعت الأغطية إلى الورا ارتدت ثياباً داخلية نظيفة كانت قد أحضرتها معها، وبسرعة ألقت نظ حذرة على الباب المؤدي إلى غرفة أليكس، لكن لم يكن هناك صو

بتاتاً.

حالما ارتدت ثيابها، ذهبت رأساً إلى غرفة نيكي، طاولة صغيرة وكرسي كانا قد وضعا، وكان جالساً هناك في بيجامته، عينان دامعتان لكنه كان صامتاً، يوزع نظرات من الارتياب الحاد بين يانينا ووعاء الحليب المفضل لديه أمامه.

«صباح الخير، أيها الصغير». داعبت هارييت شعره بإغاظة، «هل الفطور لم يعد يؤكل في هذه الدوائر؟».

ابتسامة نيكي رفرفت في البداية مضيئة الوجه الكامل بسحر، التقط ملعقته وبدأ يأكل بشهيته المعتادة، يسترق أحياناً نظرات إلى هارييت للتأكد بأنها لم ترحل.

تنهدت يانينا، «إنه أنت التي يحتاجها، يا آنسة»، قالت بأسى نوعاً ما. «لقد كانت بركة أنك كنت قادرة على المجيء إليه هكذا بسرعة أرجو أن تكوني قد نمت في صحة الله الجيدة».

«نعم». ترددت هارييت. «يانينا... أنا أخشى أنني ارتكبت حادثاً لطيفاً الليلة الماضية. أنا كنت أحاول اكتشاف كيف يعمل الدوش، هو... انفتح فجأة وقميص نومك الجميل تبلل تماماً».

«بو، بو، بو»، يانينا هزت كتفيها، وجهها القلق لان بدفء. «إنه شيء، يا آنسة. أنت على الرحب والسعة لأي شيء عندي. القليل من الماء لا يهم بتاتاً. أنت يجب أن لا تشغلي نفسك».

اعتقدت بوضوح أن التورد الطفيف الذي ارتفع في خدي هارييت وضع هناك بسبب الشعور بالذنب والندم على مصير قميص النوم، هارييت تستطيع فقط بمودة أن تكون شاكرة للمرأة الطيبة التي ليست

لديها فكرة عن الحقيقة.

مكثت قدر الإمكان، تراقب نيكي يأكل بقية فطوره، ومن ثم غسلته وألبسته أفضل تي - شيرت وشورت لديه. يانينا كانت بوضوح عبدة له وهو عرف ذلك، الذي لم يكن كله عملاً جيداً، فكرت هارييت بكآبة، لكن لم يكن هناك شيئاً تستطيع قوله أو القيام به، سرعان ما بناء وتدريب شخصية نيكي سيخرجان من يديها تماماً.

عندما سألتها يانينا للمرة الثالثة بدهشة متزايدة إذا هي نفسها لم تكن جائعة لتتناول فطورها، أدركت أنها لا تستطيع أن تحلق حول غرفة نيكي مثل قطعة تبديل طول الصباح.

كان عليها أن تعود نفسها للعودة إلى غرفة الجلوس وأليكس كان جالساً عند طاولة قرب النافذة، غارقاً في قراءة الصفحات المالية لإحدى صحف الأحد. نهض بأدب عندما هارييت ترددت، وأشار إلى أنه يتوجب عليها أن تنضم إليه، وجهه متجهم وغامض.

جلست، بدون أن تنظر إليه، مركزة على نفض الفوطة ونشرها على حضنها.

«عصير برتقال؟» سأل أليكس. «كرواسان؟ أم تفضلين البيض واللحم؟».

هزت رأسها، وتمتمت سلبية خافتة، لأنه من غير المحتمل أن تكون قادرة على إرغام كسرة خبز للتجاوز شفتيها على أي حال. عصير البرتقال كان سهلاً، عصر حديثاً، ولاذعاً قليلاً وشهياً تماماً وذلك، متحداً مع الشمس القادمة بدفء وعبر النافذة، مما جعل معنوياتها ترتفع قليلاً.

ظهر نادل كأنه بسحر ساحر مع إبريق من القهوة الطازجة، وسلة من اللفائف، ما زالت ساخنة عند اللمس، وبعض الكرواسان. رائحة الخبز الطازج الدافيء كانت لا تقاوم وهاريت استسلمت، رغم أنها كانت لا تزال على الحافة، تنتظر أليكس ليقول شيئاً ما. . . أي شيء. خبز طازج وتوتر، فكرت بكآبة. أنا ربما سأموت بعسر الهضم.

كان متحضراً جداً، سحب قهوتها ومرر لها الزبدة ومربى الكرز قبل أن تدرك بأنها تريدهم، لكن بعيداً عن ذلك بدا اهتمامه مشغولاً تماماً بصحيفته.

أخيراً، عندما طواها ووضعها جانباً، قررت أن من الأفضل لها أن تحطم الصمت.

قالت بعصبية نوعاً ما: «أنا واثقة بأن نيكي سيكون على ما يرام الآن، أنا في الواقع يجب أن أذهب إلى البيت».

«أتمنى أن أشاطرك تفاؤلك». أعطاها نظرة طويلة. «هل استغرق نيكوس وقتاً طويلاً ليتكيف معك بعد مقتل شقيقي وزوجته؟».

ترددت. «هو كان منزعجاً، بصورة طبيعية، لكنني أنا. . . أنا دائماً كنت هناك. أنا في الواقع عشت معهما، وهكذا اعتاد علي. اعتاد أن يسأل عنهما باستمرار، بالطبع، وما زال يفعل».

«وماذا تقولين؟».

هزت كتفيها. «أنا أخشى تجنب القضية. . . وألهيه بشيء ما. أنا لست طبيبة نفسانية ولست أدري كيف أعالج الموضوع. هو صغير جداً لكي يفهم الحقيقة».

أطرق برأسه بدون تعبير، ولم يقم بأي تعليق آخر، فقط يسأل إذا

كانت تريد مزيداً من القهوة.

«لا، شكراً». وضعت هاريت فوطتها المجعدة على الطاولة، «أنا في الواقع يجب أن أعود».

«لماذا؟» سأل. «هل لديك موعد عاجل، ربما؟».

«بالطبع لا، إنه يوم الأحد».

«وماذا تفعلين عادة أيام الآحاد؟» شرب آخر قهوته، وراقبها من فوق حافة الكوب.

هزت كتفيها. «أرتب الشقة. . . أعد الغداء. . . آخذ نيكي إلى الحديقة إذا كان الطقس جميلاً».

«إنها تبدو خطة معقولة»، قال. «ويمكن بسهولة القيام بها هنا كما في غرفتك».

«لا»، قالت هاريت، يداها أخذتا ترتجفان ثانية، وحشرتهما معاً في حضنها تحت حافة الطاولة. «أنا. . . أنا لدي حياة خاصة بي لكي أقودها، وأنا لدي أشياء لأقوم بها».

أعطاها نظرة مستهزئة. «أنت تجعلينني أصدق بأن نيكوس كان كل حياتك. أليس الأمر هكذا؟».

«وأنت جعلتني أعتقد بأنه قد حان الوقت لأفكر بطريقة مختلفة» قالت ببساطة. «وهذا ما سأقوم به، مبتدئة من الآن».

«أرجو أن يكون الأمر بسيطاً هكذا، إنه يجب أن يكون واضحاً ردة فعل نيكوس الليلة الماضية، وإلى مدى أقل على الأمسية السابقة لأنه سيحتاج إلى. . . فترة أساسية من التكيف مع ظروفه الجديدة» توقف. «أنا سأكون بحاجة إلى مساعدتك. . . يا آنسة ماسترز».

جاهلت هاربيت لنغمة السخرية المستمرة التي لا يمكن إغفالها بالمتين الأخيرتين. «مساعدتي؟ أعتقد أنك لا تستطيع الانتظار لتنزع ي من نفوذ محيطي بالجملة».

«لكن عندئذ أنا لا أكون مدركاً لمدى اعتماده عليك»، قال ببرود. ت جعلت نفسك ضرورية للطفل».

«أوه، أنا آسفة»، قالت هاربيت بسخرية حقيقية. «بالطبع أنا أرى ن بأنني كان يتوجب علي أن أهمله وأسيء معاملته، فقط لكي مل الأمور أسهل عليك. من المؤسف أنني لم أدرك من قبل بأنك ني مقتحماً حياتنا مثل... مثل...».

«مثل الطاغية»، زودها بنعومة بالغة. «أو مثل... قرد متغطرس ور».

«نعم»، قالت في تحدي. «بالضبط هكذا».

«أنا أعجب»، قال بعد توقف طويل آخر. «لماذا لم يضربك أحد قبل بشكل صحيح، يا عزيزتي هاربيت».

م تشعر برغبة أقل للابتسام، لكن رغماً عنها زاويتا فمها تحولتا بسخرية. قالت: «ربما لأنني أبدو... لأتقدم جنباً إلى جنب مع الناس».

«أنا أعتقد، لمصلحة نيكوس، أنت عليك أن تبذلي جهداً لكي ي جنباً إلى جنب معي. هل يمكنك على الأقل أن توافقي بأن ه هي ذات أهمية كبيرة؟».

«نعم»، اعترفت بخمول. عرفت ماذا كان قادماً... جدال معقول لماذا سيكون من الأفضل لنيكي أن يعيش كوريث لملبونير في

اليونان، بدلاً من العيش فقط على منحة في لندن معها.

والمشكلة كانت أنها لا تستطيع التفكير بحل منفرد. كل البخار والغضب، والدفاع قد تصفى منها. صدفتها الواقية قد تهشمت وشعرت بالإعياء والقابلية للعطب.

«نعم»، قالت مع تنهيدة. «أعتقد أننا نستطيع الاتفاق حول ذلك».

«تقدم أخيراً»، قال بسخرية. «هل أطلب مزيداً من الشراب؟».

هزت رأسها، ونظرت إلى يديها اللتين ما زالتا متشابكتين في حضنها.

«وأنت ستبقين هنا... لمصلحة نيكي».

«نعم»، قالت. «أنا سأبقى... لمصلحة نيكي».

هم تناولوا الغداء بجانب النهر، مسألة تقليدية جداً لروستو لحم البقر وبدونغ يوركشاير، مع فريز وكريم يليهما، ونيكي تصرف بشكل معصوم عن الخطأ بمقاييس أي شخص. استمتع بالأكل، واستمتع أيضاً ليكون مركز الاهتمام والإعجاب. اعترفت هاربيت بمرارة أليكس شرع بكسب ابن شقيقه، وكان ناجحاً بشكل لامع. خجلت الطريقة التي شعرت بها عندما مد نيكي ذراعيه إلى عمه لكي ينزله الكرسي عندما انتهت الوجبة.

كثير من الناس عند الطاولات المجاورة كانوا يراقبونهم خلال الغداء، والذي افترضت هاربيت أنه كان أمراً لا مفر منه.

«هذا المكان يجب أن يكون قد أصبح نموذجياً»، أعلن رجل ثقيل الوزن ذو شعر رمادي وشارب. «ذلك رجل الأعمال الثري أليكس ماركوس على الشرفة مع فتاة، وواحد من أخطائه في الحياة، م

حيث مظهره»، قال مع ضحكة.

غادرت الفندق عن طريق المدخل الجانبي الذي يؤدي إلى موقف السيارة. في البداية لم تستطع رؤية أليكس ونيكي، لكنهما في الواقع ظهرا، يسيران ببطء من جهة الحدائق التي تنحدر إلى النهر. كان نيكي يسير خبباً بجانب عمه، ممسكاً يده، وأحياناً يعطي قفزة صغيرة من الفرحة، وعندما نظر أليكس إلى الطفل ملامحه الجذابة بقسوة لانت بابتسامة.

هما كانا متشابهان، اعترفت هاربيت لنفسها مع غصة عندما وقفت بجانب السيارة، وراقبتهما يقتربان. مع شعرهما الأسود الكثيف وبشرتهما الزيتونية، سيكون عجيباً قليلاً لو اعتبرا أباً وابناً.

«آه! آ — لأننا تركناك تنتظرين»، اعتذر أليكس رسمياً عندما انضما إليها. «نيكوس يرغب في إعطاء بعض الخبز إلى البط».

قامت بجهد لكي تبتسم. «هل هو يعرف ماذا يكون؟ لغاية الآن هو يعتاد على الأوز».

«إذن لقد حان الوقت لتوسيع آفاقه»، ألمح أليكس، وهاربيت وردت للنقد المقصود.

«بواسطة رحلة إلى اليونان، بدون شك»، قالت.

استدار السائق إلى الباب الخلفي للسيارة ورفع نيكي إلى داخلها.

أليكس أطبقت حول معصمها في قبضة آلمتها.

«هل ما زلت مصممة على محاربتي لأجل هذا؟» سأل.

نظرت هاربيت بعيداً، عاجزة عن لقاء نظرته السوداء المتغطرسة.

«أنا لست أدري»، قالت بعد وقفة تعيسة. «أرجوك دعني

أذهب... أنت تؤلمني»، أضافت بسرعة عندما اشتدت أصابعه.

تمتم شيئاً ما بلغته الخاصة وأطلق سراحها، ودار إلى الجانب الآخر من السيارة، انتهت رحلة العودة في صمت مزعج إلى نيكي، الجالس بينهما، ملأه بثرثرته السعيدة عن «البط الطويل». في أي وقت آخر كانت هاربيت ستضحك وتضمه إليها، لكن الآن يبدو ذلك غير مستحسن. سيؤخذ منها، عرفت، وطريقتها الأفضل كانت بأن تبدأ بتركه يذهب، في ذهنها على الأقل.

عندما انطلقت السيارة عبر الضواحي، نظرت إلى أليكس. «هل سيكون هناك إزعاج لو أنزلتني عند الشقة؟ أنا... أنا واثقة أنك سوف تستمتع كثيراً بعد الظهر مع نيكي بدوني».

التوى فمه. «هاربيت القديسة الشهيدة»، تشدق. «أنا لا أعتقد، مع ذلك. نيكوس قد يمسرح عرضاً آخر».

«أنا لا أعتقد ذلك. هو يبدو أكثر تعوداً عليك الآن و....».

هز أليكس رأسه. «في اللحظة التي تغيبين فيها عن نظره يفتش عنك، ويصبح قلقاً»، قال بتبرم. «يمكن أن ينتهي، لكن فقط لفترة قصيرة».

قالت بلا لون: «هو يقيم مع ماندا... الفتاة التي تعتني به عندما أعمل».

«آه نعم»، قال. «لأنه يعلم أنه عندما ينتهي العمل، أنت ستأتين إليه».

«أنت تتحدث كأنني أنا الملامة بطريقة ما. ماذا كان يفترض بي أن أعمل بعد... بعد...» توقفت، وابتلعت بريقها، مستعيدة سيطرتها،

ذاتية. «لقد اقترحت السلطات بأن أدعه للتبني، لكنني لم أرغب بذلك. أنا شعرت بأنني سأكون أخدع كوستا وبيكا إذا سمحت بذلك أن يحدث. هل تقول لي الآن بأنني مخطئة؟ كيف لي أن أعلم بأنك ستصل، ملوحاً بمطلبك؟».

«أنت لم تعلمي، بالطبع، لكن يتوجب عليك أن تقدري»، قال. «ألم يحذرك كوستا بما لدى عائلتنا، وما نتمسك به... إلى الأبد؟».

«أنت لم تتمسك به»، قالت هارييت باضطراب.

ابتسم أليكس بسخرية. «كان سيعود فعلاً»، قال. «عندما يدرك كم حرمه عرضه الصغير بالاستقلال، وحالما يتلاشى افتتانه بشقيقتك، عندما سيتم بالتأكيد».

شفتاها انفرجتا لتناديه خنزير عندما كانت مدركة لهمهمة طفيفة من نيكي. هو لا يستطيع الإمساك بالحديث، لكنه يستطيع التقاط الذبذبات ويكون منزعجاً بها، وهارييت، مع شهقة صغيرة، التفتت بعيداً وحدقت خارج النافذة، عيناها غشيتهما دموع الغضب التي رفضت أن تنهمر.

حالما عادت إلى جناح أليكس، اعتذرت لنفسها في صوت صغير متوتر وذهبت إلى الحمام، وأوصدت الباب خلفها. غسلت عينيها بماء البارد، وتركت الحنفية تطرطش فوق معصميها، لتهدئة نبضاتها المتسارعة، وجدت أن من المستحيل أن تفهم لماذا كان أليكس هكذا يزال مريراً حول كوستا وبيكا. حتى لو شعر، كما فعل بوضوح، أن شقيقه قد تزوج تحت نفسه وعائلته، عندئذ بكل تأكيد لا يعود يهم.

تنهدت هارييت، متمنية لو أن أليكس التقى بيكا فقط مرة واحدة.

مرحها المتذبذب وسحرها يجب بكل تأكيد أن يأسراه مثلما أسرا كوستا.

عندما كانت واثقة أنها مرة أخرى كانت مسيطرة على أعصابها وانفعالاتها، عادت إلى غرفة الجلوس.

كان أليكس يقف وحيداً بجانب النافذة يحدق إلى الشارع في الأسفل، استدار عندما دخلت، وأعطاها نظرة تفكير طويلة.

«أين نيكي؟» نظرت هارييت حولها، حائرة بالصمت الذي خيم على الجناح.

«لقد أخذته يانينا مشواراً»، قال ببرود. «يبدو لي أنه سيكون من الأفضل لو نتابع نقاشنا على حدة».

«ليس هناك شيء لكي نناقشه»، قالت بصوت منخفض. «أنا... أنا لا أستطيع أن أكسب ضدك، أنا لن أوقفك عند أخذ نيكي، أو أقوم بأي نوع من الضجة، إنها ستكون أنانية لأحاول وأحرمه من نوع المنافع التي يمكنك أن تعطيها له. أنا دائماً عرفت ذلك... وأنا فقط لم أكن أريد الاعتراف بذلك». ابتلعت بريقها. «لكنك ستكون... لطيفاً معه؟ أنت لن تلومه لأنه ابن بيكا وكذلك ابن شقيقك؟».

«يا إلهي»، قال ببطء. «أي نوع من وحش بشري تعتقدينني؟» صوته كان غاضباً ببرود، وهارييت انكمشت داخلياً.

لكنها رفعت ذقنها، وحافظت على صوتها ثابتاً. «ماذا يهم ماذا أعتقد؟ إنه لن يكون له أدنى فرق إلى... إلى ما تنوي القيام به. هل ستسمح لي بالكتابة إليه، عندما يكبر... وأرسل هدايا عيد ميلاد؟».

قال شيئاً ما موجزاً وعنيفاً بلغته الخاصة وتقدم نحوها. «اجلسي»،

أمرها، وأطاعت، لأنها كانت خائفة إذا ترددت قد يجعلها تفعل ما يريد، والتفكير بأن تلمس بواسطته ثانية، حتى في غضب، كان لا يطاق. فكرت بأنه قد يجلس بجانبها، فتوتر جسمها كله بدون سيطرة، لكنه بقي واقفاً، محلقاً فوقها، حاجباه السوداوان سحبا معاً في عبوس عاصف.

قال بهدوء وببرود: «نعم، إن نيتي أخذ نيكوس بعيداً... مهما أصبحت ضرورية له، إنه سيكون عملاً من وحشية خالية من الإحساس لأفصلكما هكذا حتماً»، توقف. «لذا يجب أن تكون هناك تسوية».

نظرت إليه بارتباك، محاولة أن تقرر ما يعنيه. هل كان ممكناً أنه سيدع نيكي يقيم معها، لكنه يساهم لدعمه؟

قال: «عندما آخذ نيكوس إلى اليونان، أنت سوف تأتين معنا».

كانت هاربيت متكئة على المساند، لكنها الآن انطلقت منتصبة، وأرسلت إليه نظرة خائفة.

«لا!»، أوشكت أن تختنق. «لا، أنا لن أفعل. إنه... إنه مستحيل!».

«كيف ذلك؟».

لأنني لا أريد أن أراك ثانية، فكرت. لأنني لن أجرؤ على قضاء أي مزيد من الوقت برفقتك أكثر مما يجب.

قلت: «لأنني، كما ذكرتني مرة، أنا لدي حياتي الخاصة لأقودها. أنا لدي بيت... ووظيفة. هم كانوا طيبين معي... الشركة التي أعمل لها... متفهمون تماماً، لكنهم لن يقدموا علاوات إلى الأبد.

والوظائف من الصعب الحصول عليها في هذه اللحظة. وشقتي... قد لا تبدو كثيرة لك، لكن...».

«هذه الأشياء... هل تعني لك أكثر من نيكوس؟» سأل ببرود.

شهقت، «بالطبع لا!».

«إذن أنت تتخيلين أنك إذا ألزمتني في هذا، أنا يجب أن أتركك بلا مأوى وبدون وظيفة؟» سأل باحتقار.

هزت هاربيت رأسها. «أنا... أنا لا أريد صدقة».

«وأنا لا أقدمها»، رد بضجر. «نحن سنتوصل إلى اتفاق مناسب قبل أن تغادري...».

كان هذا يجري بسرعة. قالت: «أنا لست أدري بعد بأنني سأغادر إلى أي مكان».

«دائماً هذه المقاومة!» لوح أليكس بيديه في نوع من الإعياء الغاضب.

«عندما تعتقدين أنني مستعد لأخذ نيكوس منك، أنت تجادلين الآن أنا أقول أن بإمكانك الذهاب معه، وأنت ما زلت تجادلين!».

«تضعها هكذا، بالطبع، يجعل كل شيء بسيطاً»، قالت هاربيت في تحدي. «أنت تتخذ القرارات، وأنا أوافق بدون تمتمة. هل خطر ببالك أنني قد لا أريد أن أقلب حياتي رأساً على عقب؟».

هز كتفيه. «هل تقولين ذلك إرضاءاً لك؟ أن لديك كل ما تريدين؟» عيناه أمسكتا عينيها بلا رحمة. «حسناً؟».

«هل أي شخص لديه ذلك؟» تحولت هاربيت بعصبية. «لكن ذلك لا يعني أنني أريد... أن ألقي بعيداً بكل شيء عملت من أجله».

تنهدت. «لكنني لا أتوقع منك أن تفهم. مقارنة مع مؤسسة ماركوس، جهودي يجب أن تبدو مفجعة تماماً. لكنها هامة بالنسبة لي».

«أكثر أهمية من رفاهية ابن شقيقتك»، قال ببساطة.

«أنت تعلم أن ذلك ليس صحيحاً!».

«إذن يجب أن يكون هناك سبب آخر»، توقف. «هل هناك، بعد كل ذلك، شخص ما لا تستطيعين فراقه؟».

«ليس هناك أحد»، قالت، وكان بالإمكان أن تلعن نفسها لتسرعها في الإجابة، ذلك كان عذراً قد يقبل به.

«إذن أنا فشلت في فهم أية مشكلة موجودة، ما عدا في رأسك الصغير العنيد»، قال. كان عابساً ثانية. «أنت رأيت كيف كان نيكوس الليلة الماضية. إنه لا يمكن أن يكون خيراً لطفل صغير ليكون منزعجاً بعمق».

«وأنا لا أستطيع أن أرى كيف أن ذهابي إلى اليونان معك سيحسن الوضع». حدقت هاريت إلى يديها... نحيلتان لكن قادرتان، يدا فتاة عاملة. «ألا يجعل الأمور أسوأ عندما نيكي وأنا نفترق فعلاً؟».

«أنا لا أعتقد ذلك». خلع أليكس جاكيته، وألقاها على الصوفا خلفه، وحل ربطة عنقه قبل أن يخفض نفسه بإعياء على المساند. «أنا سآخذ نيكوس إلى منزلي على جزيرة كورفو. والدتي تعيش هناك، وشقيقتها. أنت ستقيمين هناك لفترة ومن ثم، عندما يبدأ نيكوس بالاستقرار، يمكنك ربما أن تقومي بعدة رحلات... جولة بحرية حول الجزر الأخرى... وزيارة إلى اليابسة، تدريجياً سيصبح معتاداً على محيطه الجديد، وعلى غيابك».

«نعم»، قالت. «ذلك... عملي تماماً. وكيف ستقدمني إلى عائلتك... كمربيته الإنكليزية؟ أنا قلما أستطيع أن أفترض بأنني سأكون موضع ترحيب».

«لا»، التوى فمه بسخرية. «لكن لن يكون هناك إدعاء أي شيء آخر عدا أنك خالة نيكوس. أي اقتراح آخر سيكون إهانة».

تنهدت هاريت ثانية بسرعة. «وإلى متى أنت تريدني أن أبقى؟ سألت بصوت منخفض.

إذا كان مسروراً باستسلامها، العينان السوداوان الغامضتان لم تعطي إشارة بذلك. «إلى متى يستغرق ذلك، يا عزيزتي هاريت، لا أكثر ولا أقل. بأية سرعة يمكنك أن تكوني مستعدة للمغادرة؟».

«أنا لست أدري. سأكون بحاجة إلى جواز سفر...» صوتها تأرجح بعيداً.

قال بنعومة: «أنا سأدع فيليبدس يسلفك المال الكافي».

حدقت هاريت إلى السجادة، مستمعة بغصة إلى نغمة التود الكسولة في صوته. فيكي هانلون، تعجبت بشراسة، أو واحا أخرى. حيث الرجال الآخرون لديهم دفاتر سوداء صغيرة، فأليك ماركوس ربما لديه كومبيوتر! فكرت بغضب.

نظرت عالياً ووجدته ينظر إليها، عيناه متسليتان كأنه استطاع أن ي أفكارها. وجهها اشتعل.

قالت بسرعة، «هل سيطول غياب يانينا؟ أنا في الواقع يجب آخذ نيكي إلى البيت. هو... هو عادة يأخذ غفوة بعد الظه وسيكون متعباً ومشاكساً».

«يستطيع أن يستريح هنا»، اقترح بنعومة.

هزت رأسها. «إنه في الواقع سيكون أفضل لو غادرنا»، نظرت بعيداً. «أنك لديك خططاً أخرى... نحن سنكون في الطريق».

«خططي الأخرى ستتأخر كثيراً»، قال. «لماذا أنت في هذه العجلة لكي تهربي، يا عزيزتي هاربيت؟».

«أنا لست في عجلة». الإنكار بدا ضعيفاً حتى في أذنيها.

«لن يكون هناك مكان لتهربي إليه في كورفو». العينان السوداوان ومضتا بخبث. «جزيرة أصغر بكثير من هذه الجزيرة».

«نعم، أنا أعلم». عضت على شفتها. «أنت مصمم على أن لا تجعل هذا سهلاً بالنسبة لي، أليس كذلك؟».

ابتسامته كانت عبوساً فجأة. «أنا فقط أعدك، يا صغيرتي، لأنه على الجزيرة الأمر لن يكون سهلاً بتاتاً... ليس لأي شخص منا. لا والدتي ولا شقيقتها. ثيا زو لم تصفح عن كوستا... لزواجه، يجب أن لا تتوقعي أن تسمعي ذكر اسم شقيقتك، يا عزيزتي هاربيت، بالنسبة لنفسك... أنا آسف لأنك يجب أن تتوقعي البغض... ربما حتى العداء. هل أنت مستعدة لتعاني هذه الأشياء... لمصلحة بكوس؟».

لا، فكرت، لمصلحتك. لأنه رغم أنه جنون، وحقد، ودودة شب لأعترف به، حتى لنفسي، فأنا سأواجه حفرة مليئة بالأفاعي إذا ان ذلك يعني أن أراك ثانية.

قالت بهدوء: «نعم... لمصلحة نيكي».

وتمنت مع نوع من التوتر المؤلم أن الأمر يمكن أن يكون في الواقع

بسيطاً كذلك.

الفصل الخامس

عندما حلقت الطائرة فوق البحيرة الضحلة باتجاه مدرج الهبوط جدت هارييت نفسها تمسك بذراع مقعدها حتى مفاصل أصابعها حولت إلى بيضاء. على حضنها، زمجر نيكي بغضب، وضغط وجهه طب عليها، وعانقته مطمئنة، ومتمنية بكآبة لو كان هناك شخص ما حتضنها.

لكنها قلما استطاعت أن تنادي السيد فيليبدس لأجل ذلك، شفوق ساعد كما كان عبر الأسابيع القليلة الماضية. في قلبها، افترضت با تأملت أن يكتشف عائق ما يبقيها ونيكي بأمان في لندن. كان

السيد فيليبدس حذراً في البداية، وبما خائفاً من تكرار العرض لتلك العاصفة الأولى، لكن تدريجياً سلوكه لان، وكان واضحاً أنه وجد نيكي يغني.

رغم أن مرحلة الطيران كانت لا شيء بالنسبة للمعضلة التي تنتظرها فور هبوطهم، فكرت بكآبة، السيد فيليبدس في اليومين الماضيين كان قد لمح بذكاء عن نوع الصعوبات التي يتوقع أن تواجهها هارييت، وهارييت قدرت أن تعليقاته الاحترازية تمثل فقط الطرف لجبل الجليد.

حاولت مرة أن تثير الموضوع علناً مع السيد فيليبدس.

«لكن إذا كانوا يشعرون هكذا، فلماذا هم يريدون نيكي بهذه اللهفة؟».

قلب السيد فيليبدس الأوراق على مكتبه بأسلوب مرتبك وتمتم شيئاً ما عن «وريث ذكر».

«من المؤسف أنه لو كان بنتاً». عينا هارييت التهبتا فجأة. «عندئذ هم كانوا قد تركونا بسلام».

مع خضة طفيفة، هبطت الطائرة، وبالرغم من التحذيرات للبقاء جالسين حتى تتوقف تماماً، الناس كانوا يتنقلون، ويتناولون الأمتعة اليدوية، معدين أنفسهم للنزول إلى اليابسة.

فتشت هارييت في محفظتها عن نظارتيها الشمسيتين قبل أن تنضم إلى طابور من الناس في الصف. لقد كان يوماً ضبابياً بارداً في لندن، وهنا في مطار كورفو، الشمس ساطعة واندفاع الحرارة حالما فتحت أبواب الطائرة بدت مزعجة بشكل حاد وغريب.

لقد كان مشواراً قصيراً عبر الممر إلى مبنى الهجرة، ونيكي أصر

على المشي، معطياً قفزات صغيرة مثيرة. هاريت تعجبت إذا كانوا مراقبين من الأبنية أمامهم، فبللت شفتيها الجافتين. كان عليها أن تمنع نيكي من الركض إلى الأمام، وتململ بغضب، قائلاً: «ثيو أليكس»، عندما نظر إليها بعتاب.

كانت تأمل بأن لا يخيب أمله، السيد فيلبيدس جاء معهما، عرفت، لتسهيل وصولهما في حال كان أليكس ماركوس مشغولاً جداً في قضايا عمل في مكان آخر. فقط قبل مغادرتهم بيوم واحد كان يتحدث بقلق عن مشاكل في نيويورك وريو دوجانيرو.

الهجرة لم تكن أبسط. لقد بدا لهاريت أنهم اجتازوا فقط أقصر المعاملات. استعادة حقائبهم استغرق فقط وقتاً أطول بقليل.

كانت هاريت مسرورة لأن ماندا أقنعتها بصرف مدخراتها على بعض الحقائب الخفيفة الجديدة، وبعض الثياب الجديدة لمثلها. على الأقل لا تصل كقريبة فقيرة. لكنها كانت موسوسة حول صرف مبلغ غير معقول من المال الذي سلفها إياه أليكس عن طريق السيد فيلبيدس على نيكي وحده، واستطاعت أن توفره تماماً بدون أن تصرف حتى ربعه.

سمعت السيد فيلبيدس يحيي شخصاً ما والتفتت ببطء، قلبها يخفق، لتجد أنها كانت تواجه الرجل الذي قاد سيارة أليكس في لندن. كان مكشراً ويكنس حقائبهم كأنها كانت محشوة بالزغب، عندما قاد الطريق إلى المخرج.

ركض نيكي إلى الأمام مع السيد فيلبيدس، لكن هاريت تأخرت، الهلع أبردها، وأغلق حنجرتها. حاولت أن تخبر نفسها أنه كان

طبيعياً أن السيارة يجب أن تكون قد أرسلت إليهم، فقد كانت فقط مودة شائعة. إنها لم تكن... ولا تعني أن أي شخص آخر كان منتظراً أيضاً.

لكنه كان هناك. المنطقة أمام المطار كانت خلية من النشاط، لكنها رأته على الفور عبر حشود الناس المتنقلين. عيناها بحثتا عنه كأنهما كانتا ممغنطتين. كان يرتدي نظارات سوداء وهكذا لم تكن متأكدة سواء كان مدركاً لوجودها أم لا، لكنه لا يمكن أن يكون غير مدرك لوجود نيكي. التفت الناس مبتسمين عندما صرخ الطفل وركض باتجاه الرجل الطويل المنتظر بجانب السيارة. انحنى أليكس، ورفعه، ومرجحه بينما نيكي يصرخ ثانية بفرحة.

شعرت هاريت بقدميها كالرصاص. راقبت السيد فيلبيدس يصل إليهما، وراقبتهما يتصافحان. يدها كانت رطبة ولزجة ومسحتها بجانب تنورتها عندما سارت إلى المجموعة الصغيرة.

«أهلاً وسهلاً إلى كورفو، يا هاريت». كان صوته رسمياً، وكذلك الابتسامة التي رافقت الكلمات. أي تعبير في عينيه كان مختبئاً في نظارتيه. «هل استمتعت بالرحلة؟».

قالت بصوت خافت: «نعم، أشكرك».

«أرجو أن تكون البقية منها مفرحة، نحن علينا أن نعبر الجزيرة للوصول إلى منزلي».

هاريت أخذت مكانها بصمت في مؤخرة السيارة، حيث انضم إليها أليكس مع نيكي، والسيد فيلبيدس جلس في المقدمة مع السائق. إنها لم تكن من نوع الليموزين التي استعملها في لندن، بل صالون سبو

منخفضة.

عندما شقوا طريقهم عبر حركة السير بعيداً عن المطار، تعجبت هاربيت إذا كانت ستسنح الفرصة للسيارة لتعرض قوتها الكاملة على طرقات الجزيرة المزدحمة. ناظرة حولها عندما قادوا، فكرت بأنها لم تشاهد مثل هذا العدد من الدراجات النارية في حياتها معظمها يحمل شخصين يضحكان إن لم يكونا راكبين ساكنين تماماً. كانوا جميعهم من السمر والخالين من الهموم بوضوح، فكرت بذكاء نوعاً ما، آخذة في الاعتبار الهلع من بشرتها الخاصة، وتمنت أن تكون واحدة منهن، فقط سائحة أخرى مجهولة مع غرفة فندق وميزانية.

اتكأت إلى الوراء مع تنهيدة طفيفة، ومدت ساقيها أمامها شاكرة. الطائرة كانت مريحة لكنها محصورة، فكرت، فرفعت يداً وفركت عضلات رقبتها المتشنجة، مدركة لحركة بجانبها، فأدارت رأسها قليلاً وأدركت أن أليكس كان ينظر إليها، مرتبكة، استقامت بعنف تقريباً، وعندما فعلت هكذا، ارتفعت تنورتها قليلاً فوق ركبتيها. أليكس لم يقم بأي تعليق. لكن الخطوط بجانب فمه تعمقت بسخرية قبل أن يلتفت بعيداً موجهاً اهتمامه مرة أخرى إلى نيكي، الذي كان يقصفه بأسئلة وتعليقات ليست واضحة دائماً.

حدقت هاربيت بتصميم خارج نافذتها، مكافحة للسيطرة على أنفاسها المتسارعة. عندئذ تدريجياً المشاهد والروائح والأصوات في خارج السيارة بدأت تهاجم وعيها كالبلسم الشافي، فبدأت تسترخي.

شعرت بضغط عليها، فنظرت ورأت أن نيكي كان يذبل بإعياء، مكافحاً لإبقاء عينيه مفتوحتين، وبلطف عدلت وضعها بحيث يمكن أن

ينزلق على حضنها. كانت تأمل بأن ينام، إذا كانت رحلة السيارة ستطول كما توقعت. لا تريد وصوله إلى منزل أليكس أن يكون معوقاً بنوع من سورة الغضب التي يوحيها التعب والإفراط بالفرحة لمثل سنه.

كانت السيارة تتسلق الآن، الحانات ومحلات التحف أصبحت خلفهم، وهاربيت كانت تنظر إلى البرك الداكنة لبساتين الزيتون في الانحدار الحاد للوادي بجانب الطريق. كان الهواء أنظف كلما ارتفعوا والنسيم حمل رائحة أشجار الحمضيات. الطريق التوى واستدار على نفسه تقريباً ويحارب التضاريس لسفح التلة، وهاربيت وجدت نفسها تحاول أن لا تكترث لأن السائق تراخى في سرعته.

قال أليكس: «استرخي... ستافروس يعرف هذا الطريق جيداً».

قفزت قليلاً، لأنها لم تدرك أن توترها كان واضحاً.

تباطأت السيارة وانعطفت إلى طريق جانبي الذي بدا لهاربيت أنه قلما كان عريضاً كفاية لاستيعابها. بساتين الحمضيات ضغطت على كلا الجانبين، والوميض الفضي لأشجار الزيتون بلغ منتصف الطريق في أماكن. وأمامها، فجأة، استطاعت أن ترى الوميض الأزرق للبحر، وحبست أنفاسها، لا أهمية للمشاكل التي قد تواجهها عندما تصل إلى المنزل، فلا شيء يستطيع أن يقلل من الجاذبية المورقة لجمال الجزيرة.

كانت الفيللا نفسها شيئاً ما من مفاجأة... ليست خاصة بقصر كما تخيلت هاربيت بغموض، بل بناء منخفضاً، جدرانه البيضاء اللامعة تتدلى منها عرائش ونباتات زاحفة تلف طريقها حول شرفات الطابق

الأول. في المقدمة أبواب مزدوجة ضخمة، ونافورة مياه تتلاعب. . . حورية حجرية تبتسم في غموض بعيد عندما سمحت للمياه بأن تتساقط إلى ما لا نهاية كشلال من صدفة حملتها في يديها.

داخل الفيلا، كانت واعية للفضاء والبرودة المباركة التي أخبرها إدراكها أنه كان تكييفاً هوائياً. لكن الديكور أضاف شيئاً ما، فكرت، عندما داست على الأرض الرخامية الباردة ونظرت حولها إلى المناظر الملونة.

في الغرفة الكبيرة، تركز نظرها على امرأتين ترتديان الأسود في وسطها. كلتاهما مدام ماركوس وشقيقتها كانتا ترتديان الأسود، مثل العديد من الفلاحات اللواتي شاهدتهن من السيارة خلال الرحلة إلى هنا، لكن سوادهما كان له لمعان الحرير، وكانت هناك ومضة كبرياء للماس على العنق والمعصم. عيونهما متلألئة أيضاً، أدركت هاريت، مع عدوانية. وجهان مؤذيان متغطرسان التفتا نحوها.

شعرت بأصابع أليكس تشتد على ذراعها. قال ببرود وبفرح: «ماما. . . ثيا زو، أقدم لك الآنسة ماسترز، التي أحضرت نيكوس إلينا من إنكلترا».

الشفتان الحازمتان لمدام ماركوس امتدتا في ابتسامة تهكمية. لكن شقيقتها لم تكن حتى مستعدة لذلك الإذعان. حدقت إلى هاريت وقالت بصوت منخفض شيئاً ما ساماً بدون شك باليونانية.

أصبح صوت أليكس أكثر مرحاً من قبل. «ربما نستطيع جميعاً أن نتذكر أن هاريت لا تتكلم لغتنا، ونتحدث فقط بالإنكليزية عندما تكون موجودة».

قالت مدام ماركوس بصلابة في إنكليزية صحيحة، «أهلاً وسهلاً بك إلى منزلنا، يا آنسة». جعلت صوتها يبدو كإهانة، لكن عندما عيناها استقرتا على نيكي هما لانتا بإحساس، وتخيلت هاريت أنها رأت ومضة مفاجئة للدموع، كبتت بعنف.

كان نيكي يتعلق ثانية، يضغط نفسه على ساقها. نساء عنيفات الطلعة يرتدين السواد كان شيئاً ما خارج خبرتها المحدودة، وبكل وضوح ذلك كان حيث هو يفضلهن. حاولت هاريت أن تعطيه ابتسامة مطمئنة، لكن فمه كان يرتعش.

قالت ثيا زو: «إذن هذا هو طفل كوستا». كانت لهجتها محددة المعالم بقوة أكثر من شقيقتها. بدأ نيكي يبكي، وكلا المرأتين الكبيرتين حدقتا إليه في نوع من انذهال مبجل.

اندفعت بانيتا إلى الأمام. «عفواً، يا عزيزتي، لكنه متعب، هذا الصغير. بو. . . بو. . . بو. . . كل تلك الرحلة الطويلة في الطائرة! لماذا لا يتوجب عليه أن يبكي؟».

حملت نيكي وعانقته.

«من الأفضل أن يذهب إلى غرفته»، قالت مدام ماركوس.

«أنت أيضاً. . . آنسة ماسترز. لقد كانت رحلتك متعبة. يا أليكس، كانت هناك مخابرات هاتفية. . . واحدة من أثينا، وواحدة من باريس. ربما أنت تود التعامل معهم». الإدارة لرأسها بعيداً عن هاريت كانت مرفوضة بحد ذاتها.

قالت بانيتا، «يا آنسة، أنا سآخذ الصغير»، هي ترددت. «أنا لست أدري أية غرفة أعطيت لك، لكن أندرولا ستريك إياها».

أطرقت برأسها نحو المرأة الكبيرة التي انضمت لتوها إليهما، مرتدية السواد أيضاً لكن مع مريول أبيض متقن يشير إلى مركزها المنخفض.

شكل يانينا العريض اختفى على السلم مع نيكي ممسكاً بذراعيها بحزم. أشارت أندرولا إلى هاربيت لكي تلحق بها بدون تعبير، «إذا سمحت، يا آنسة».

كان السلم أيضاً مصنوعاً من الرخام مع درابزين من حديد مجدول. كنبا هاربيت طرطقا بفراغ عندما صعدت. هي أيضاً شعرت بفراغ. ابتسامتها التجريبية إلى أندرولا قوبلت بفراغ شامل، العينان السوداوان بدون حيوية عندما التقتا بعينيها. لم تكن هناك عداوة حقيقية، لكنها لم تخرج عن طريقتها لتكون ودية أيضاً. بكل وضوح هي كانت تتولى قيادتها من سيدة المنزل. فكرت هاربيت بكآبة.

قادت أندرولا الطريق على طول الرواق الذي بدا أنه يهبط على مدخل القاعة، وانعطفت إلى رواق عريض، جدرانه المالسة تتعارض عند مسافات بواسطة كوات في الحائط مضاءة تحتوي على تحف خزفية حقيقية. هاربيت أحبت لو تمكث وتتفحص بعضاً منها عن قرب، لكنها قالت لنفسها هناك مزيد من الوقت لذلك. قادتها أندرولا عند الطرف الأخير من الرواق وفتحت بأقل مباهاة.

«هذه هي غرفتك، يا آنسة»، هي ألمحت. «أمتعتك ستجلب إليك». أعطتها إطراقة جافة واندفعت مبتعدة، تاركة هاربيت وحيدة تحدق حول وسيلة راحتها الجديدة.

للحظة فكرت أن هناك غلطة، أو أن أندرولا لديها عاصفة دماغ

وأرتها إلى خزانة، لكن نظرة ثانية كشفت أن هناك سريراً مرتباً تماماً، وصندوقاً من الجوارير وتعاليق خلف الباب لثيابها التي تحتاج إلى تعليق. وكان هناك أيضاً، هي أدركت، بثورة أعصاب، نافذة واحدة صغيرة جداً باتجاه ارتفاع السقف، وقد بدا واضحاً أنه لم تكن هناك ضرورة لتمديد التكييف الهوائي باتجاه هذه الغرفة الخاصة، لأنها كانت من قبل أشبه بالفرن. لو لم تشعر بهذا الغضب، لانفجرت بالدموع.

جلست على حافة السرير. هذه، هي افترضت، كانت مساوية لأماكن الخادمات أو ربما حتى غرفة للزينة، لأنها أدركت الآن أن سريرها كان واقفاً على باب يؤدي إلى غرفة ملاصقة. جربته عبثاً، لكنه كان موصداً بإحكام، ولم يشاهد هناك مفتاح في أي مكان. استمعت وفكرت أنها استطاعت أن تسمع، عبر الخشب، الأنغام العالية الصافية لنيكي، والضحكة البشوشة ليانينا عندما تجيبه، وقدرت أنها كانت عند الباب التالي.

حاولت أن تخبر نفسها أن هذه الغرفة هم زعموا أنها ستختارها، لو أنها أعطيت الخيار... الغرفة الأقرب لغرفة نيكي، لكن ذلك لا يبدو مقنعاً. إذا هذه الغرفة بالذات كانت عند الطرف المقابل من الفيللا بكاملها، فإنها لا تزال مخصصة لها لأنها كانت مقصودة كوضيعة لترى بوضوح تام كم هي كانت مطلوبة قليلاً في هذا المنزل، وكم هي محترمة قليلاً.

كان السرير الجالسة عليه قاسياً وضيقاً، رغم أنها افترضت لو أنه كان أعرض قليلاً، فإنها ستجد صعوبة في فتح أي من الجوارير في

الصندوق، والوسادة، عندما لمستها اختبارياً، بدت كأنها محشوة بالنشارة بدلاً من الزغب.

تعجبت بجفاء فيما إذا كان من المفروض أن تعترض، وتندفع إلى الطابق الأرضي وتطلب إعادتها إلى إنكلترا على رحلة الطيران التالية المتوفرة. هزت رأسها. هي هنا لمصلحة نيكي، وليس لمصلحتها، لذا ستتقبل أية معاملة تقدم لها بدون تمتمة لأنها على الأقل عرفت أن ذلك ليس إلى الأبد. هذا الرفض، وهذه الإهانة للغرفة سيجعل الأمر أكثر سهولة للمغادرة عندما يحين الأوان، هي أخبرت نفسها بتصميم.

قررت أن تذهب إلى الباب التالي وترى نيكي، وعندما فتحت بابها، أوشكت أن تقع على طولها فوق حقائبها، التي كانت قد كومت هناك بدون كلمة. ضغطت هاربيت على نفسها وسحبت الحقائب إلى داخل الغرفة. لقد كان هناك فقط مكان كاف للأشياء التي أحضرتها، وكانت سعيدة عندما تذكرت أنها أحضرت تعاليق ثيابها الخاصة.

كانت لديها ابتسامة مشبوكة بحزم عندما دخلت الغرفة التالية. نيكي، في بيجامته، كان جالساً عند طاولة خاصة منخفضة بجانب النافذة يأكل بطريقته الفاكهة واللبن، مراقباً بولع بواسطة يانينا.

«ياسو، نيكوس». ركعت هاربيت بجانبه، وتقبلت قطعة الفاكهة التي قدمها لها.

«آه!» بدت يانينا مبتهجة. «أنت تتعلمين لغتنا، يا آنسة؟».

كشرت هاربيت. «بضع عبارات فقط»، هي أجابت باحتراس. «بعض كلمات يا يانينا، من كتاب اشتريته في لندن».

«أنت سرعان ما ستتعلمين»، تنبأت المرأة الأخرى.

أنا لن أمكث طويلاً لأجل ذلك، فكرت هاربيت.

على الأقل غرفة نيكي كانت بحجم مناسب، ومبردة بشكل جميل. الجدران كانت قد طرشت بالأزرق الصافي ودهنت مع حيوانات لعب، ووضعت بوابات آمنة عبر النوافذ الفرنسية المؤدية إلى الشرفة.

بينما كان نيكي يتابع طعامه، قادتها يانينا بفخر، وأرتها أن كل ثيابه وضعت. كان هناك مزيد من اللعب في الخزانة أيضاً، لاحظت هاربيت. كان هناك أيضاً حمام، مبلط بالأزرق والأبيض، الذي زعمت هاربيت أنه سوف تشارك به. هي ابتسمت بإشراق إلى يانينا ووافقت على كل شيء من كل قلبها.

مهما يكن متعباً، كان نيكي مصمماً على عدم النزول بدون كفاح. هو التفت بتجهم بعيداً عن يانينا، ماداً ذراعين باتجاه هاربيت، قائلاً بعينين دامعتين أنه يريد قصة. لقد كان هناك نصف دستة من قوافي الروضة ورواية ونصف عن الدببة الثلاثة لاحقاً عندما هو وافق أخيراً على النوم.

خرجت هاربيت أخيراً فقد حان وقت الطعام. نظرت إلى مدام ماركوس، «أنا آسفة لأنني تركتكم تنتظرون».

أعطتها المدام نظرة بعيدة، وشقيقتها هزت كتفيها كأنها تقول أن ذلك هو أكثر مما يتوقع.

هاربيت لم تتوقع الاستمتاع بالوجبة. إحدى الفتيات اللواتي عملن معها حذرتها أن الطعام اليوناني كان عادة فاتراً وكل شيء له مذاق زيت الزيتون، لكن العشاء الذي تلا لم يحمل علاقة لأي شيء مما وصفته جانيت. لقد بدأ بشورباء الأفوكادو المثلجة، وتقدم عبر

سمك البوري المشوي، إلى قطع من لحم العجل بصلصة الخل،
الفواكه الطازجة... دراق وشمام... كحلوى.

أكلت هاريت بشهية قلبية أكثر مما استطاعت أن تتخيل تحت هذه الظروف. بعيداً عن الملاحظات القليلة التي وجهها أليكس إليها، التي استجابت إليها باختصار، الوجبة سلكت في صمت فعلي.

الجو لم يخف عندما عادوا إلى الغرفة الأخرى لتناول أكواب صغيرة من القهوة المرة. المدام وشقيقتها أخرجتا شغل إبرة جميل شاركتا في صوفا، تخيطان وتتحدثان بأصوات منخفضة. أليكس استدعي إلى الهاتف مرة أخرى، وهكذا حالما انتهت هاريت من قهوتها، نهضت، وتمنت للسيدتين ليلة سعيدة مؤدبة التي اعترفتا بها بطراقة جامدة، وغادرت الغرفة.

«إلى أين أنت ذاهبة؟».

توقفت هاريت على السلم ونظرت إلى الأسفل. ظهر أليكس في القاعة تحت وكان يحدق إليها.

«إلى غرفتي»، هي أجابت مدافعة. «أنا متعبة جداً».

«أنا فهمت». هو بدا متهكماً، وهي توردت قليلاً.

«ربما... ذلك سيجعل الأمور أسهل من الآن فصاعداً إذا تناولت وجباتي مع نيكي؟».

«لا، إنه لن يكون أسهل»، هو قال ببرود. «مع ذلك، إذا كنت متعبة جداً للنزول هذا المساء وتفضلين صينية في غرفتك، عندئذ كان يجب عليك أن تقولي هكذا».

شعرت هاريت بإغراء لتجيب بأنها تشك إذا كان هناك مكان

للصينية، لكنها بقيت صامتة؛ فأي تعليق كهذا قد يعتبر كشكوى، أ
استجداء لمعاملة أفضل، وهي لا تريد ذلك.

فقط قالت: «أنا سأتذكر ذلك في المستقبل. تصبح على خير، سيد ماركوس».

«هاريت عزيزتي»، هو قال بنعومة، «ماذا يتوجب علي أن أفع
لكي أجعلك تناديني باسمي؟ أنا يجب أن أذكرك مرة أخرى أن
ضيفتي هنا».

نوع غريب من ضيفة، دفعت إلى خزانة، وتجاهلها فعلاً ك
شخص من مديرة المنزل فصاعداً.

قالت بدون أن تبتسم: «أنا سأحاول وأتذكر ذلك أيضاً».

كان واقفاً تحتها تماماً، وقبل أن تستطيع الحراك، أخذ يدها م
حيث كانت ترتاح على الدرابزين وضغطها على شفتيه. لجزء م
الثانية هي شعرت بفمه، دافئاً على راحة يدها، ورؤوس أصابعها
عندئذ أطلق سراحها.

قال: «تصبحين على الخير، يا صغيرتي. وأحلاماً سعيدة».

استدار مبتعداً وذهب عبر القاعة إلى الغرفة التي غادرتها لتوها
وقفت هاريت على السلم وراقبت الباب يغلق خلفه.

تابعت صعودها السلم بإعياء، ممزقة بين الضحك والدموع.

تمنى لها أحلاماً سعيدة، هي فكرت بسخرية، عندما في نف
النفس تقريباً هو ضمن لها ليلة مؤرقة. توقفت للحظة، رافعة اليد ال
قبلها ووضعتها للحظة، بألم، وبشوق على خدها، عندئذ ركض
تصعد السلم إلى الوحدة الضيقة لغرفتها.

الفصل السادس

في اليوم التالي، بعد الفطور، عادت هاريت إلى غرفتها. لكنها سرعان ما سمعت طرقة على الباب. عندما فتحته فوجئت بأندرولا على الباب. «المدام تطلبك».

ذهبت أندرولا معها، ورافقتها إلى باب المكتب، وحتى طرقته وفتحته لها. لقد بدا كأنه في حراسة فكرت هاريت مع محبوس داخلي طفيف.

كانت الغرفة مقفلة النوافذ ومظلمة، وكانت المدام جالسة خلف مكتب كبير مصقول. هي كانت ساكنة تماماً، ويداها مطويتان في

حضنها، ووجهها، رغم أنه مدمر، بدا هادئاً.

هي قالت: «أنا يجب أن أشكرك، يا آنسة ماسترز. أنا فهمت أ كان بسببك أن اكتشفت بسرعة مخاطرة حفيدي».

تكلمت عن الشكر، لكنه لم يكن هنا كدليل ضئيل للامتنان ف وجهها عندما نظرت إلى هاريت، لا دفء في العينين السوداوين لكن عندئذ فكرت هاريت بكآبة، أليس ذلك هو ما توقعته في م هذه الظروف؟

قالت: «أنت لست بحاجة إلى قول المزيد، يا مدام. أنا أح نيكي».

«نعم، أنا واثقة من ذلك»، قامت مدام ماركوس بحركة منزعج مفاجئة. «مع ذلك، أنا واثقة أيضاً أنه عندما جئت إلى هنا في البداية كان واضحاً أن ذلك لا يمكن أن يكون ترتيباً دائماً».

شعرت هاريت نفسها تتوتر إلى درجة الجمود. هي قالت «نعم... واضح تماماً. هل... هل أنت تطلبين مني أن أغادر؟».

«أعتقد أنه قد حان الوقت لكي تفعلي. الآن بما أنك عشيقة ابني فأنت لا تصلحين رفيقة لنيكوس. هل تتخيلين أنني لم أكن أعلم» أضافت بخشونة، عندما شهقت هاريت والتهب اللون في وجهها.

«لا تحاولي الإنكار، أنا رأيت أليكس بأم عيني يعود إلى غرفته الصباح. أنا تحدثت معه قبل أن يغادر واعترف بأنه قضى الل معك».

«قبل... هو غادر؟» كررت هاريت، الكلمات لسعت دماغ «هل تعنين أنه ليس هنا؟».

قالت مدام ماركوس بتثاقل: «هو... رافق خالته إلى البيلوبونيز»، نغمتها ازدادت حدة. «أنت تبدين مريضة، يا آنسة ماسترز، ربما من الأفضل أن تجلسي. من الواضح أنك كنت تراعين بعض الأوهام حول نوايا أليكس نحوك، ربما أنك حتى كنت تأملين بمنافسة شقيقتك وتعقدين زواجاً داخل عائلتنا». هي هزت رأسها. «إذا كان الأمر هكذا، فقد ارتكبت غلطة فظيعة. أليكس سيتزوج من ماريا إكساندرو في السنة الجديدة». هي توقفت، ودرست هارييت بأسى. «هو ارتكب غلطة بسلوكه نحوك، يا آنسة، لكن...» هزت كتفيها، «هو رجل، وأنت فتاة جذابة. لقد كان أليكس دائماً يأخذ ويستمتع بما تقدمه له الحياة. لكن يجب أن تفهمي أن وجودك في هذا المنزل، لمصلحة ماريا، ولأسباب أخرى كذلك، هو الآن ارتباك، وسيكون من الأفضل لنا جميعاً لو تغادري».

ترددت ثانية، ثم قالت: «إذا كان... ترتيبك مع ابني على المدى الطويل فهو بدون شك سيخصص لك مؤونة مالية. هو ليس بخيلاً في مثل هذه المسائل. وكما هو الحال، أنا سأعطيك هذه». أخرجت علبة طويلة منبسطة، ودفعتها عبر المكتب نحو هارييت.

قطعة من المجوهرات، فكرت هارييت، وحدقت إليها بتحذير. الإهانة الأخيرة. هي أرادت أن تقول شيئاً ما، لكنها لم تستطع أن تجعل صوتها يعمل.

كانت مدام ماركوس تتابع. لقد تم الحصول لها على مقعد على الطائرة إلى أثينا، وحجز آخر تم من أثينا إلى لندن. سيتم إرسال خادمة لمساعدتها في توضيب حوائجها.

أخيراً وجدت الكلمات. «هل... هل سيسمح لي بأن أقول وداعاً إلى نيكي؟».

توتر فم مدام ماركوس. «بالطبع. فنحن لسنا من غير البشر، يا آنسة ماسترز، وأنت، أعتقد أنك لست حمقاء. أنت كان يجب أن تعرفي أن هذا... الوضع القليل الأدب لا يمكن أن يستمر».

غطست هارييت أسنانها في شفتها السفلى. «نعم»، هي قالت على غير هدى.

«أنا واثقة بأنك ستكونين عاقلة». لمست مدام ماركوس العلبة. «لقد نسيت سوارك».

«هل هو هكذا؟» ألقت هارييت برأسها إلى الوراء. «أنا لم أنسه، أنا فقط لا أشارك عفرتة عائلتك بالمجوهرات... بإعطائها، أو بمنعها، احتفظي بالسوار للسيدة التالية. بعد كل ذلك، أليكس قلما يحتمل أن يبقى ليحتفل حتى العام الجديد». أرسلت العلبة لكي تنزل باحتقار باتجاه المرأة العجوز عبر السطح المصقول للمكتب، وخرجت.

توقفت للحظة خارج القاعة، مكافحة للحفاظ على رباطة جأشها، بينما صوت همس بجنون في رأسها، «إذن هذا كل شيء. انتهى. انتهى كل شيء».

أرادت أن تبكي وتصرخ، لكن ذلك كان مستحيلاً. هي لم تكن تدري كيف تتصرف النساء اللواتي ينبذهن أليكس عادة، لكنها بحاجة إلى إنقاذ بعض خرق الكرامة، إن استطاعت.

ذات يوم، يوماً ما، ربما هي ستكون سعيدة بأنه لم يعرف الحقيقة،

بها لم تفرط في حبها له، لكن ليس بعد، كل ما كانت تدركه الآن ان فراغاً كبيراً كالعالم عندما صعدت السلم ببطء شديد إلى غرفة كي.

* * *

شعرت هاريت بأنها فاترة الهمة عندما أخذت طريقها عائدة إلى ل ماندا. فالوظيفة المؤقتة التي حصلت عليها منذ عودتها إلى لندن انتهت ذلك اليوم، والوكالة ليس لديها شيء آخر لها في اللحظة حاضرة، شعرت بخيبة الأمل، لأن كان لديها كل مسبب للاعتقاد بأن ظيفة المؤقتة كانت على وشك أن تصبح دائمة. روجر كلايتون لذي يدير المكتب قد تحدث بحماس حول عملها. والمكان محتمل، لكنه اليوم بكل بساطة صافحها وتمتم شيئاً ما حول اءتها.

على الأقل هي الآن لديها بعض المال، فكرت، وهي تستطيع أن لع إلى ماندا وبيل شيئاً ما لقاء السماح لها بالبقاء معهما. هما كانا فين إلى ما لا نهاية منذ وصلت شاحبة ومجوفة العينين على تهما، مصرة أنها تستطيع البقاء طالما هي بحاجة إلى ذلك.

كانت هاريت مصممة على أنها يجب أن تكون فقط إقامة قصيرة. ها أن تلتقط حياتها وتستمر. وظيفتها مع شركتها القديمة ولت، بع، لكن دائرة الموظفين أخذت عنوانها ورقم هاتفها ووعدوا تصال بها إذا برزت فرصة جديدة، لغاية الآن، لم تسمع شيئاً، أت تشك إذا كانت ستسمع، لذا لا جدوى من البحث عن غرفة

خاصة بها من جديد بدون وظيفة ثابتة لتدفع إيجارها.

الأطفال الذين كانت ماندا تعتني بهم ذهبوا جميعاً إلى البيت، وكانت ماندا جالسة عند طاولة المطبخ مع إبريق قهوة طازجة أمامها عندما هاريت أدخلت نفسها من الباب الخلفي.

ابتسمت ماندا إليها. «حسناً؟».

هزت هاريت رأسها. «أنا سوف...؟»، ردت بجهد. «إنه غم الأسبوع القادم، هذا ما أخشاه. الذي يذكرني...» هي بحثت في حقيبتها وأخرجت مغلف أجرتها.

«احتفظي بها»، قالت ماندا. «أنت تحملين على تهوية الغرفة الإضافية لنا، بعد كل ذلك، والله يعلم، أنت لا تأكلين ما يكفي لإبقاء ذبابة حية».

قالت بهدوء: «أنا أفضل أن ادفع طريقي... طالما أستطيع».

«الوظائف بأجور حيوية يصعب مجيئها»، وافقت ماندا. صبت القهوة في كوب ودفعته عبر الطاولة إلى هاريت. هي تابعت، «بالطبع يمكنك دائماً الاتصال بمؤسسة ماركوس وتذكيرهم أنك فقط ذهبت إلى كورفو على وعد بوظيفة عندما تعودين».

تورد هاريت تعمق. هي قالت، «أنا أفضل الموت».

«أنا فكرت هكذا نوعاً ما»، تمتمت ماندا، مبتسمة إلى كوبها. تنهدت هاريت بسرعة. «ماذا تريدين أن تعرفي؟» إنه حتى قد يكون راحة للبوح إلى شخص ما، هي فكرت.

هزت ماندا كتفيها. «ماذا أحتاج لأعرف؟» واجهتها. «أنت لا تأكلين، وأنت لا تنامين. نصف الوقت تسيرين في حلم. نيكي هو

ل جميل، لكنني لا أستطيع أن أصدق بأن لديه هذا التأثير العميق».

«لا، ليس لديه». عضت هاربيت على شفتها. «رغم أنني أفتقده بكل رهيب، أنا... أنا قلقة عليه أيضاً. هو كان نصف نائم عندما ني، وهو بدأ يخبرني شيئاً ما عن الساحرة. هو قد تكون لديه ابيس حولها... أو هو قد يكون مريضاً».

«أنا أشك في ذلك». ربتت ماندا على ذراعها مطمئنة، عندما بجف صوت هاربيت. «وبالتأكيد لا شيء سيحطم بقية حياتك»، ءافت ماندا.

كانت على صواب، وهاربيت عرفت ذلك. تلك الساعات الأخيرة ، كورفو كانت مليئة بالآمال المفقودة... أن أليكس سيعود بمعجزة ويمنعها من المغادرة، حتى أنه سيخطفها من الطائرة قبل أن تقلع. ئن في الوقت الذي انتظرت فيه بأثينا لطائرتها الثانية، وتحملت طيران إلى لندن، قطاراً واعياً وأكثر واقعية من الأفكار تدخل. والدته مط كانت تحقق رغباته. أملها الوحيد للانقاذ أن تنساه، ولتضع كل يء حدث خارج عقلها، لا أهمية كم سيستغرق ذلك.

وإذا كان ذلك يعني قطع نفسها عن نيكي، عندئذ هي ستقوم بذلك ماً، مهما كان ذلك مؤلماً.

سمعت مرة مثلاً يقول: «الحب يجعل الوقت يمضي، الوقت يجعل ب يمضي». حسناً، عندما يقوم الزمن بعمله، ربما ذات يوم هي طيع أن تقوم بالاتصال ثانية، وكل اللهفة انتهت هو سيكون قد ج، بالطبع. هي حتى قد تكون تزوجت أيضاً، رغم أن لا شيء بو أقل احتمالاً.

هي أمضت نهاية الأسبوع تدرس الصحف بحثاً عن وظائف محتملة، وتكتب رسائل للاستخدام لا نهاية لها لأي شيء يبدو مهماً ليس فقط في العاصمة، بل كل أنحاء البلاد. التغيير للمشهد قد يكو هو ما تحتاجه، هي فكرت.

كانت تصعد الممر، عندما فتح الباب وقفزت ماندا إليها، طفل ف ذراعيها واثنان يلتصقان بتنورتها الطويلة.

«الحمد لله أنك عدت!» هي تعجبت. «ذلك اليوناني كان ع الهاتف. أوه، يا حبيبتي، ليس هو»، هي أضافت بوجل، عند استوعبت توتر هاربيت المفاجىء. «الشخص الآخر... السي فيليبيدس».

«لكن كيف عرف أين أكون؟» سألت هاربيت.

«فتشيني. لكنه يريدك أن تذهبي إلى مكتبه بأسرع وقت ممكن. إ شيء ما عن نيكي»، عينا ماندا نظرتا بعطف إلى خدي هاربي الشاحبين. «هو قال الأمر عاجل جداً، لكنه لم يخض في التفاصيل».

ارتعش فم هاربيت. «كانت هناك فرصة... فقط فرصة النهاب رئوي. أوه، يا ماندا، هل تعتقدين...؟».

«لست أدري بماذا أفكر، عدا عن أنك يجب أن تفعلي كما طلب وتذهبي إلى هناك مباشرة، هو ترك رقمه، بحيث أستطيع الاتص وإعلامه أنك على الطريق».

هاربيت مكثت. «ربما إذا أنا اتصلت هاتفياً هو سيخبرني...».

«اذهبي!» أعطتها ماندا دفعة صغيرة. «إذا بواسطة أية فرصة بعي هي حالة طارئة، فهو قد يريدك بأن تذهبي معه إلى مكان ما، ماذا ء

سفرك؟ هل هو معك؟».

«إنه في محفظتي». شعرت هارييت بالمرض. نيكي، هي فكرت، ...س. . . أو أسوأ. نيكي يناديها. إنه قد يكون فات الأوان. «أنا ...حب على الفور».

«أنا سآتي معك»، قالت ماندا. «فقط. . .» هي أومأت إلى الصغار ...لقين بها. «هل ستخبرينني. . . مهما كان الخبر؟».

«بالطبع سأخبرك». التعب تم نسيانه، وهارييت بدأت تركض عائدة حيث أتت.

...دت الرحلة كأنها لا تنتهي. هي بدأت تعجب في أي وقت يغلق ...ب السيد فيليبلس، وهل ستصل في الموعد.

خارج الباب تجناح مكاتب السيد فيليبلس، توقفت نفساً أو اثنين ...ن.

...قف عندما هي أدخلت إلى غرفته، مع ابتسامة ترحيب لدرجة أنها ...شعر بأنها قادرة على ردها.

...الت بصوت خشن، «نيكي. . . ما الذي حدث له؟».

«يا آنسة ماسترز. . . يا عزيزتي. . . اجلسي، دعيني أطلب من ...تيرتي بأن تحضر لك بعض القهوة».

...بللت فمها الجاف. «أنا لا أريد قهوة. أنا فقط أريد أن أعرف ...نيكي. أرجوك. . . لقد جئت كل هذه الطريق. يجب أن ...ي!».

...ن وجهه شفوقاً عندما نظر إليها. «كل شيء في الوقت المناسب، ...رتي العزيزة. لكن تلك القهوة أولاً».

هو تعب متجاوزاً إياها إلى الغرفة الخارجية، وهارييت دفنت وجهها في يديها مع أنة خفيفة. إذا هو في الواقع شعر بقوة أنه ستكون بحاجة إلى منبه، فيجب أن يكون هناك خبراً سيئاً.

سمعت الباب يفتح من جديد، ونظرت، مستدعية كل شجاعتها أليكس وقف يراقبها، وجهه الأسمر موضوع في تكشيرة، مع خطوط اتهام.

شفتاها انفرجتا في شهقة بدون صوت. عندئذ هي همست بتوسل «نيكي؟».

«بعيداً عن افتقاده لك، هو بصحة جيدة»، قال بخشونة.

«إذن لماذا الرسالة؟»، كان من الصعب الكلام، هي شعرت كأنها تستخدم صوت شخص آخر.

التوى فمه بسخرية. «لو أنني قلت بأنني أنا الذي أتمنى رؤيتك هل كنت ستأتين؟» هو رآها تجفل، والحاجبان السوداوان التقيا معاً «أنا لا أعتقد».

أومأ بضجر. «نيكي هو في فندقي في هذه اللحظة. أعتقد أنك سترغبين برؤيته. هل أنا مخطيء؟».

هزت هارييت رأسها.

«إذن ستشاهدينه»، هو قال. «القاء سحره».

رفعت رأسها وحدقت إليه، وجهها كشف أحاسيسها بالصدمة تحرك فمها ببطء، «ما هو السحر؟».

أطلق أليكس ضحكة غضب قصيرة. «ليس كما تعتقدين. فقـ... حديث. . . الحديث الذي خدعتني به عندما غادرت كورفو بتسرع».

ظرت بعيداً. «أعتقد أن كل شيء قد قيل من قبل».

حسناً، أنا لست أدري. أرني يديك، يا عزيزتي هاريت».

ترددت. «أنا لست أفهم... لماذا...؟».

لا تجادليني». صوته لان بخطورة. «فقط أرني يديك».

بصمت هي مدتهما، راحتاها إلى أعلى. هو أخذهما بيديه، ابعه أطبقت في قبضة مؤلمة، وقبلهما، وعيناه رفرفتا فوق الأصابع بيلة الخالية من أي خاتم.

ال: «إذن أنت لست مخطوبة، ولا متزوجة بعد».

سحبت يديها بعيداً، كارهة الحاجة العميقة المؤلمة التي تستطيع ته الخفيفة أن تولدها. «لا، بالطبع لا».

«إذن ما هو الخطأ؟ هل يمكن أن تكوني قد اعترفت بشيء ما إلى يقك الذي جعله يكون أفكاراً ثانية؟ ربما المهر قد بحليه؟» هو مد إلى جيبه وأخرج علبة مجوهرات منبسطة، هاريت عرفتها على ور. هو فتحها وألقاها إلى حضنها. «الياقوت يحوض هذا خطيبك ندانه... عروسته العذراء».

هي ارتجفت، ودفعت العلبة بيدين مرتعشتين، بحيث أنها انزلقت حضنها إلى الأرض المفروشة بالسجاد. «أنا لا أريدها».

«آه»، هو قال، بسخرية مريرة. «أنت تريدين شيئاً أفضل، ربما. م والدتي الياقوتي، على سبيل المثال».

لقد كانت ماندا على حق»، قالت بارتعاش. «أنت سافل بلا باس، يا أليكس».

لقد نصحتك بأن لا توجهي لي ألقاباً. منذ غادرتني، أنا كان لدي

وقت وفراغ لكي أفكر بالقليل لك»، هو قال على غير هدى.

«أنا لا أريد أن أسمع منك». وقفت هاريت. «إذاً الحديث تكلمت عنه كان فقط لأعطيك فرصة أخرى لكي تهينني به...».

لمست السوار بإصبع حذائها... «عندئذ أفضل عدم سماع ال من ذلك، أيضاً».

«ربما من الأفضل أن تستشيري زوجك المستقبلي قبل أن تر مثل هذه الهدية الثمينة».

«أنا ليس لدي زوج مستقبلي»، هي قالت بغضب. «نعم، أنا أ برؤية نيكي، لكن إذا كان ذلك يعني أنني يجب أن أكون م بواسطتك، يا أليكس، فعندئذ أنا سأذهب إلى البيت بدلاً من ذلك».

ضحك أليكس بنعومة. «لا يا عزيزتي، سنعود أنا وأنت ونيكي كورفو حيث ستصبحين زوجة لي وأماً ثانية لنيكي».

شفتاه أخذتا شفتيها في امتلاك دافيء»، وذراعاها أطبقتا حو جسمها مستسلم ومتشوق، متقبلة الحب، ومتقبلة كل ما تقدمه الم في نصيبها بالجنة مع أليكس.